



الجمهُورِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُتَّحِدَةُ

وزَارَةُ التَّقَوْفَةِ

تِارِيخُ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ  
فِي مِصْرَ

تأليف

دكتور أحمد مختار عمر

الناشر

المَهْيَةُ الْمَصْرِيَّةُ الْعَامَّةُ لِلتَّأْلِيفِ وَالنَّسْخِ  
القاهرة  
١٩٧٠ - ١٣٩٠

تَارِيخُ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ  
فِي مِصْرَ

# المكتبة العربية

تصدرها

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

بإشراف

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

وزارة الثقافة



الجمهُورِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُتَّحِدَةُ

وزَارَةُ التَّقَوْفَةِ

تِارِيخُ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ  
فِي مِصْرَ

تأليف

دكتور أحمد مختار عمر

الناشر

المَهْيَةُ الْمَصْرِيَّةُ الْعَامَّةُ لِلتَّأْلِيفِ وَالنَّسْخِ  
القاهرة  
١٩٧٠ - ١٣٩٠



مَكْتَبَةُ

لِسَانُ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

# المحتوى

## الصفحة

مقدمة	...	٧
تهييء	: اللغة العربية في مصر قبل الإسلام	٩
باب الأول	: استيطان اللغة العربية في مصر	١٧
الفصل الأول	: الصراع بين اللغتين - نظرية عامة	١٩
الفصل الثاني	: المراحل الأولى من الصراع (مرحلة المقاومة)	٢٩
الفصل الثالث	: المراحل الثانية من الصراع (مرحلة التقدم)	٣٨
الفصل الرابع	: المراحل الثالثة من الصراع (مرحلة النصر)	٤٥
الفصل الخامس	: الهبة الثقافية في مصر وأثرها على اللغة العربية	٥٦
باب الثاني	: المصانص التقوية للغة العربية مصر	٦٩
تهييء	...	٧١
الفصل الأول	: صعوبات على الطريق	٧٢
الفصل الثاني	: مادة التحليل اللغوي	٧٩
الفصل الثالث	: المؤثر الأول (اللغة القبطية)	٩٥
الفصل الرابع	: المؤثر الثاني (الهجرات العربية)	١٢٤
الفصل الخامس	: مؤثرات أخرى	١٤١
خامسة	: دراسة مقارنة : مدى التأثير المتبادل بين القبطية والعربية	١٤٩
المراجع	...	١٥٩



مكتبة لسان العرب

[www.lisanarab.com](http://www.lisanarab.com)

الرابط بديل [lisanerab.com](http://lisanerab.com)

## مقدمة

قصة اللغة العربية في مصر من القصص الشائقة التي تستحق التسجيل ، وتغرس بالدرس . وهي — من ناحية ثانية — قصة لم تبذل الجهد الكافية — حتى الآن — لتحليلها ، ورصد حركاتها على الرغم من قدمها وطول العهد بها . وهي — بالإضافة إلى هذا — قد اختلطت بكثير من الشوائب لارتباطها من ناحية بانتشار الإسلام ، وما أكثر ما قبل عنه إن صدقا أو كذبا ، ومن ناحية أخرى باللغة القبطية ، وما أكثر ما يبلغ في تصوير أثرها على اللغة العربية سواء في ناحية الإيجاب أو السلب .

وأخطر فترة في تاريخ اللغة العربية في مصر ، هي تلك التي تبدأ مع الفتح العربي (عام ٢٠ هـ = ٦٤٠ م) حين كانت اللغة القبطية ماتزال لغة حية يتكلّمها عامة الشعب في طول البلاد وعرضها — وتندلع غطى قرابة ثلاثة قرون أخذ ظلّ اللغة القبطية ينحسر فيها عن البلاد رويداً رويداً إلى أن تلاشى من الوجود أو كاد .

ومن أجل أهمية تلك الفترة التي سبقت أو تلت مباشرة استقرار اللغة العربية في مصر ، وعمق الخط الذي حفرته على عربية مصر رأيت أن أخصصها بهذا البحث ، وأفرد لها بالحديث . وقد رأيت فيما كتبت أن أتجنب التفصيلات والتشعبات الكثيرة بقدر المستطاع ، والتزمت بساطة العرض ، ووضوح الفكرة ما أمكن ، حتى يفهمني القارئ العادي ، ويستفيد من البحث المتخصصون وغير المتخصصين على السواء .

ولأعطي الموضوع من جميع أطرافه ، رأيت أن أقسم البحث إلى تمهيد وبابين . أما التمهيد فقد تناولت فيه — باختصار — تاريخ اللغة العربية في

مصر قبل الفتح الإسلامي ، وأثر اللغة المصرية عليها . وأما الباب الأول فقد عالجت فيه مراحل الصراع بين اللغتين المصرية والعربية ، والعوامل التي تدخلت في كل مرحلة في جانب أى منها أو ضده ، والتتابع الذي انتهت إليها كل مرحلة . وقد سرت بالصراع إلى آخر مراحله ، فلم أنوقف إلا حين خلا الميدان للغة العربية وأصبحت وحدها اللغة العامة المشتركة لجميع المواطنين على السواء . وأما الباب الثاني فقد تناولت فيه بالإيضاح خصائص عربية مصر في ذلك الوقت ، والعوامل المختلفة التي تدخلت حينذاك لطبعها بطابعها ، أو تصبغها صبغة معينة . واستقيمت المادة التي حللتها في هذا الباب من الوثائق وأوراق البردي التي اكتشفت مؤخرا في أماكن مختلفة من مصر ، ومن الكتب التي كتبها مؤلفون أقباط عاشوا خلال تلك الفترة ، وسجلت كتبهم خصائص أسلوبية معينة ، وأخيرا من كتب الأدب والتاريخ المختلفة التي حفظت لنا بطبعها نماذج لكتابات ذلك العصر .

وأنهيت البحث بخاتمة بينت فيها مدى التأثير المتبادل بين القبطية والعربية . وأرجو أن يكون هذا البحث حلقة في سلسلة محوث أخرى تتناول – من ناحية – عريبيات البلاد العربية في أولى أيامها – أو البلاد التي كانت عربية – وصراعها مع اللغات المحلية التي صادفتها حينذاك ، ومن ناحية أخرى مراحل تطور اللغة العربية في كل بلد على حدة عبر القرون .

والله الموفق

د . أحمد مختار عمر

تمهيد

اللغة العربية في مصر  
قبل الإسلام



لم تكن اللغة العربية غريبة على مصر حين جاء الإسلام إليها ، فقد كان لها هناك تاريخ طويل يمتد عدة قرون قبل ظهور الإسلام ، وربما قبل ظهور المسيحية أيضا ، حين كانت وفود القبائل العربية تقصد مصر إما للتجارة أو الاستقرار .

فمن ناحية التجارة ، أشار المؤرخون إلى أنه كانت هناك خطوط تجارية برية وبحرية تصل بين مصر والجزيرة العربية . وتفيد المصادر اليونانية واللاتينية<sup>(١)</sup> وغيرها أن مدينة غزة كانت في ذلك الوقت ميناً تجارياً هاماً ، ومركزاً يلتقي فيه التجار ورجال الأعمال لعقد الصفقات التجارية . وكان التجار العرب يقدمون إليه لبيع ما عندهم من حاصلات الحنف وجنوب الجزيرة العربية وشراء ما يلزمهم مما يرد على هذه المدينة من البحر من حاصلات اليونان وإيطالية ومصر وغيرها . وتشير إحدى الوثائق<sup>(٢)</sup> التي يرجع تاريخها إلى عام ٢٦٣ ق.م إلى وجود علاقات تجارية بين المصريين والعرب في تلك الفترة الثانية . ومن الثابت كذلك أن عمرو بن العاص زار مصر قبل الفتح الإسلامي بوصفه تاجراً ، وذهب إلى الدلتا ومن بعدها إلى الإسكندرية<sup>(٣)</sup> ، وأن خبرته بالبلاد المصرية هي التي جعلته يفكر في غزوها ويعزى الخليفة بذلك ، وهي التي سهلت له عملية الفتح .

وأما بالنسبة للهجرات العربية بقصد الاستقرار ، فقد كانت هناك كثير من الموجات دفعت بها بلاد العرب إلى مصر في العصور الفرعونية .

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ، تأليف جواد عل ١٣٢/٨ .

(٢) المرجع السابق ٦٧/٦٨ .

(٣) الكتبى : الولادة ص ٦ - ٧ طبعة بيروت ١٩٠٨ ، وانظر تاريخ مصر الإسلامية الشيشان ص ٥ وما يهدعا .

وكان طريق سيناء قنطرة ثابتة مفتوحة للهجرات منذ القدم . ومن هذه الهجرات ما كان يؤخذ في رأي حاكم مصر ويتم بموافقته . وقد أشار المؤرخون إلى سلسلة من تلك الهجرات أخذت مكانها قبل الفتح الإسلامي ، ومن بينها :

- ١ - هجرة قبائل كهلانية من عرب الجنوب ذات أصل قحطاني استقرت في الجزء الشمالي الشرقي من مصر . وقد تم ذلك مع مطلع المسيحية (١) .
- ٢ - هجرة قبائل من « طيء » (فرع كهلاني آخر من المجموعة الجنوبية ) كان من أهمها قبيلة نجم وجذام اللتان استقرتا في إقليم الشرقية (٢) .
- ٣ - قبيلة « بلي » التي دخلت مصر قبل الإسلام واستوطنت ما بين القصير وقنا . وكان عليهم الاعتماد في نقل التجارة الهندية . وقد قدم وفد منهم إلى الرسول وأسلموا (٣) .
- ٤ - هجرة بطون من خزاعة ، وهم فرع من الأزد خرجوا في المهاهلة إلى : مصر والشام لأن بلادهم أجدب .
- ٥ - استقرار بعض الجماعات العربية قبل الإسلام في شرق الدلتا .
- ٦ - وقد أشار المؤرخون اليونان بما فيهم استرابو (٦٦ ق.م) وبلينيوس (٧٠ م) إلى أن عدد العرب في عهدهم قد تضاعف على الصفة الغربية من البحر الأحمر حتى شغلوا كل المنطقة بينه وبين نهر النيل في أعلى الصعيد . وكان لهم جمال ينقلون عليها التجارة والناس بين البحر الأحمر والنيل (٤) . وقد وصف استرابو كذلك مدينة قبط Keptes بأنها مدينة

(١) عباس عمار : The People of Sharqiya.

(القاهرة ١٩٤٤) ٢١/١ .

(٢) المرجع السابق ٢٢/١ .

(٣) المرجع السابق ٢٤/١ .

(٤) انظر « البيان والإعراب » ص ٨٩ .

واقعة تحت حكم العرب<sup>(١)</sup> ، وصرح بأن نصف سكانها يتكونون من أولئك العرب<sup>(٢)</sup> .

٧ - ذكر هيرودوت أن<sup>(٣)</sup> الأقسام الشرقية من مصر بين سواحل البحر الأحمر ونهر النيل كانت مأهولة بقبائل عربية .

٨ - في عهد عمر بن الخطاب - بعد فتح الشام وقبل فتح مصر - هاجرت بعض القبائل من غسان وتُحْمَّ وجذام وعاملة - التي كانت تدين بالملسيحية - إلى مصر ، واستقرت هناك في الجزء الشمالي الغربي من «سيناء» . وقد منحهم الإمبراطور الروماني حينذاك إقطاعية «تيس» (صان الحجر)<sup>(٤)</sup> وقد قابلت النجدة التي أرسلها عمر بن الخطاب عبر وسط سيناء لمساعدة عمرو جمعا هائلا يبلغ نحو ثلاثة آلاف ، وحين سألهم عرفوا أنهم من عرب غسان وتُحْمَّ وعاملة .<sup>(٥)</sup>

وبالإضافة إلى هذا فإن الوثيقة السابق الإشارة إليها ، والتي يرجع تاريخها إلى عام ٢٦٣ ق.م. تفيدنا أنه كانت توجد في ذلك الوقت المبكر جالية عربية كبيرة مكونة من القبائل التي هاجرت من جنوب الجزيرة العربية واستقرت في مصر . وإنه من الأهمية يمكن أن نذكر هنا أن لغة هذه الوثيقة تبدو قوية الصلة باللغة العربية ، مما يدل على أن هؤلاء العرب كانوا يكتونون جزيرة لغوية في مصر ، وأن هذه الحالية ظلت مخلصة لقوميتها محفوظة بأجدادتها تكتب بها وتعتر برأسها . والوثيقة قصيرة ، ولكنها ذات أهمية كبيرة لأنها

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية مادة Kibt ص ٩٩١ (طبعة أولى) . والبيان والاعراب المقريزى ٨٩ .

(٢) عروبة مصر من قبائلها ، للأستاذ مصطفى كامل الشريف ص ٢٢ . (المطبعة العالمية سنة ١٩٦٥) ومصر العربية الإسلامية للدكتور عل حسن الخريبوط ص ١٥ .

(٣) جرادعل : تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٥/٧ و ٢٦ .

(٤) المقريزى : البيان والاعراب ص ٩٠ - ٩١ (طبعة القاهرة ١٩٦١) .

(٥) عروبة مصر من قبائلها ص ٢٣ .

تحدثت عن وجود العرب الجنوبيين بمصر في ذلك العهد السحيق ، وعن وجود علاقات تجارية ربطت بين مصر وجزيرة العرب من البر والبحر . وهي تتحدث أيضاً عن رجل اسمه « زيد بن زيد ايل » اعترف بوجود دين عليه وواجب هو توريد وتزويد بيوت آله مصر بالمرّ وقصب الطيب . ومن الكلمات التي وردت في هذه الوثيقة ، والتي يمكن بسهولة ردها إلى أصل عربي أو سامي الكلمات « دين » التي استعملت في نفس معناها العربي ، و « نفس » التي تعني ثروته أو نفقته من الأصل الثلاثي « نفق » ، و « محمرمه » التي تعني الحرم ، و « رثد » التي تعني رصد أو خصص .

وعلى أي حال فمن الطبيعي أن يكون قد نشب نوع من الاحتكاك في ذلك الوقت بين اللغتين العربية والمصرية ، وأن يكون قد حدث بينهما قدر ما من التبادل . ويبدو أن آثار كلتا اللغتين على الأخرى كانت قوية للدرجة أنها خلقت تشابهاً أو تقارباً بين اللغتين أدى بعض اللغويين المحدثين أن يزعموا وجود قرابة بين اللغتين ، أو بين الجموعتين السامية والخامية (١) (من المجموعة السامية اللغة العربية ومن المجموعة الخامية اللغة المصرية القديمة) . ولكن الحقيقة أن هذا التشابه سببه محدث من اختلاط بين الساميين والمصريين في العصور السحيقة . ومن حاول اكتشاف العلاقة بين اللغات السامية والخامية المستشرق المشهور أوليري (دى لاسي) الذي كتب بمحض حاول فيه أن يبين أوجه الشبه بين العائلتين اللغويتين . (٢)

وقد كان نفوذ اللغة المصرية (أو اللغات المصرية إذا أردنا بهذا المصطلح مايشمل اللغة اليونانية التي كانت صاحبة نفوذ في مصر في تلك الفترة)

(١) انظر Irach Jehangier Sorabji : Elements of the Science of Language, Calcutta, 1932.

Characteristic of the Hamitic Languages.

(٢) انظر مقدمة كتاب

على اللغة العربية كثيرة من ناحية المفردات . فهناك كلمات مصرية كثيرة دخلت اللغة العربية وأصبحت ينظر إليها على أنها من اللغة الأدبية الموروثة . من هذه الكلمات ألفاظ نحو « قيس » التي وردت في القرآن الكريم ، و « صداع » ، و « مشط » التي وردت في الحديث النبوى : الناس سواسية كأسنان المشط ، وكلمة « بردى » التي وردت في شعر الأعشى .

وقد ذكر السيوطي<sup>(١)</sup> – إلى جانب ذلك – قائمة من الكلمات التي وردت في القرآن الكريم وهذا – على ما يزعم – أصل قبطي . وما ذكره في هذا المخصوص قوله : وفي قوله تعالى ولات حين مناص ، أى فرار بالقبطية . وفي قوله تعالى بضاعة مزاجة أى قليلة بالقبطية . وحکى الكرمانى وغيره في قوله تعالى : فناداها من تحnya أى بطنها بالقبطية . وفي قوله تعالى في الملة الآخرة أى الأولى بالقبطية .. واضح أن قائمة السيوطي لا يمكن التسليم بها مطلقاً ولذا فتحن لا نعطيها أى اعتبار .

وهناك قائمة أخرى كبيرة للكلمات ذات أصل يونانى ، ولكن أحداً لا يمكنه أن يقطع هل كان انتقال هذه الكلمات إلى اللغة العربية قد تم في مصر أو في سوريا .

وخلاصة القول أن اللغة العربية كانت تتكلم في مصر في فترة ما قبل الإسلام بين أبناء الحاليات العربية وعلى ألسنة التجار العرب وأن تبادلاً حدث بين اللغتين المصرية والعربية ، أدى إلى ترك آثار من كلام الحانبين على الآخر ولكن دون أن يفقد أى منها شخصيته .

---

(١) الموكلي فيما ورد في القرآن باللغة الجبانية والفارسية .... من ١٢ .



# البابُ الأول

استيطان اللغة العربية في مصر



# الفصل الأول

## الصراع بين اللغتين

نظرة عامة

لقد ظهر الصراع الحقيقى بين اللغتين العربية والمصرية – والى سنسنبها منذ الآن باللغة القبطية (١) – بشكل واضح بعد الفتح الإسلامي لمصر . فقد حدثت إذ ذاك معركة كبيرة بين اللغتين انتهت بهزيمة لغة القبطية ونصر مبين للغة العربية . ولم يحدث هذا – بالطبع – دفعة واحدة ، وإنما خطوة بعد خطوة واستغرق فترة طويلة بالمقارنة بما حدث في أماكن أخرى من العالم الإسلامي .

وقد كانت هزيمة اللغة القبطية نتيجة لأسباب متعددة عملت كلها في صالح اللغة العربية ، كما أن تأخير هذه الهزيمة يمكن أن ينسب – من ناحية أخرى – إلى عقبات معينة عطلت التقدم السريع للغة العربية .

و قبل أن نناقش هذه الأسباب وتلك العقبات نحب أن نمهد بحديث قصير عن العوامل الرئيسية التي تحكم في صراع اللغات ، والتي يسرى مفعولها على أي لغتين يحدث احتكاك بينهما . هذه العوامل هي :

---

(١) القبط – وكذلك الأقباط – اسم أعطاء العرب للمصريين حتى من قبل الفتح الإسلامي ، وفي الحديث النبوي : استوصوا بالقبط خيراً . وقد اشتهر نوع من الثياب منه الجاهليه باسم القبطية و جمعه العرب على « قباطي » .  
و تذهب المراجع العربية القديمة في تفسير كلمة « قبط » منهياً أعنورياً فترى أنها مشتقة من اسم تلك مصر القديمة كان يدعى قبطاً بن مصر اي بن مصر بن حام بن نوح .  
أما المحدثون فلهم في تفسيرها آراء عدّة منها :

- ١ - العامل السياسي .
- ٢ - العامل الاقتصادي .
- ٣ - العامل الديني .
- ٤ - عامل التفوق اللغوي (١) .

وقد لعبت هذه العوامل كلها دورا هاما في صالح اللغة العربية وتعاونت فيما بينها لتنهي حياة اللغة القبطية في مصر .

فإذا نحن نظرنا إلى العوامل السياسية والاقتصادية وجدنا أنها كانت

- (١) أنها اشتقت من مدينة **Koptos** (قطط) .
  - (٢) أنها تجريف الكلمة **Jacobites** (اليعاقبة) . وبعض المراجع تطلق على المصريين الأقباط الذين جلوا أثناء الفتح اسم اليعاقبة ، وهم الذين غلب عليهم فيما بعد اسم الأقباط الأرثوذكس ، وكانتا ينكونان أغلبية في مصر .
  - (٣) أنها تجريف الكلمة اليونانية **Koptoi** التي كان يطلقها اليونانيون على المصريين لأنهم كانوا يحررون الختان على أولادهم .
  - (٤) وأقرب الأراء إلى الصحة أن الكلمة تجريف لاسم اليوناني المصري بين وهو **Koptoi** . يبدو على كل حال أن هذه الكلمة استعملت أول ما استعملت وأزيد بها غير المسلمين من المصريين ، من غير نظر إلى عقيدة معينة ، ثم بمرور الوقت أصبح الفظ هاماً على المسيحيين المصريين ، ولم يمتد يتضمن أصحاب أي ديانة أخرى .
- وتعتبر اللغة القبطية المرحلة الأخيرة لغة مصرية قديمة . وأهم ما يميزها عنها :
- (أ) أنها كببت بالجديدة يونانية بعد أن كانت تكتب بحروف معظمها ديموطيقية .
  - (ب) أنها دخلتها مفردات وتبسيطات يونانية .
  - (ج) أنها أبدات بعض الأصوات في الكلمات .
  - (د) أنها كببت بالحروف الساكنة والمتصركة (الحركات) بعد أن كانت لا تذكر الحروف المتصركة .
  - (هـ) أنها اشتملت على كلمات غير موجودة في المصرية القديمة وتركت كلمات موجودة في المصرية القديمة .
- (انظر : حضارة مصر القبطي مزاد كامل ص ٦٩ ) .
- (١) انظر J. Vandries : Language ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

يعملان في صالح اللغة العربية . فمما لاشك فيه أن القوة كانت في أيدي العرب الذين بذلوا أقصى وسعهم لتعريب البلد ونشر الإسلام . وقد أدت عمليات التعريب ونشر الإسلام إلى نتائج اقتصادية هامة كان لها أثراً في دعم اللغة العربية ورفع شأنها في مصر . وقد كان من أهم الخطوات التنفيذية التي خطتها العرب ، والتي قوت جانبى الإسلام واللغة العربية في مصر ما يأتى :

- ١ - إحلال اللغة العربية محل اللغة اليونانية أو القبطية في الدواوين وفي المكاتب الرسمية .
- ٢ - تهجير عديد من القبائل العربية إلى مصر بقصد الإقامة الدائمة .
- ٣ - إحلال بعض المسلمين محل الأقباط في الوظائف الرسمية .
- ٤ - فرض أنواع مختلفة من الضرائب على الأقباط .

فإذا انتقلنا إلى العامل الديني ، نجد من الثابت أنه لم يكن هناك ضغط مباشر على الأقباط ليعتنقوا الإسلام - إلا ما ندر - ولكننا نجد من الثابت أيضاً أنه كانت هناك امتيازات معينة يتمتع بها المسلمون دون الأقباط مثل تفضيلهم عند شغل الوظائف القيادية بالإضافة إلى عامل الهيبة الذي يتمتع به المسلمون باعتبارهم الطبقة الحاكمة . وقد أغري هذا وذلك مجموعة من الأقباط أن يعتنقوا الإسلام لينعموا بالمساواة في ظله . ومن ناحية أخرى فإننا نجد عدداً آخر يعتنقون الإسلام طوعاً و اختياراً مدفوعين بما يحتويه من تعاليم صادقة وروح جديدة . ومن البدئي أنه إذا اعتنق شخص الإسلام تحت حكم عربي فإنه سيحاول أن يحاكي المسلمين في كل تصرفاته ... سينذهب إلى المسجد ، وسيقرأ القرآن ، وسيصل إلى اللغة العربية . وباختصار سيعيش عيشة إسلامية كاملة .

وعامل الإسلام من الناحية اللغوية يعتبر ذا أهمية قصوى . وقد كان

من الواضح جداً ارتباط نقدم اللغة العربية وانتشارها بتقدم الإسلام وانتشاره في كل الأقطار المفتوحة على السواء . كذلك كان من الواضح أن الأماكن النائية أو التي لم ينتشر فيها الإسلام بسرعة ظلت اللغة القبطية فيها حية ملته أطول من غيرها . وقد كان اكتساب الأقباط الذين أسلموا للغة العربية أسرع من اكتساب أولئك الذين لم يسلموها . وهذا فتح نفق مع المستشرق الشهير دى لاسي أوليري الذي علق أهمية كبيرة على هذا العامل بقوله ، كان انتشار الإسلام بلا شك عاملاً من عوامل إحلال اللغة العربية محل القبطية » (١) .

وقد حاول بعض الكتاب الذين عالجوا انتشار الإسلام في مصر أن يصلوا إلى نتيجة معينة هي أن الإسلام قد انتشر في مصر بالقوة . واعتمد هؤلاء فيما اعتمدوا - ومعظمهم من المستشرقين - على كتاب عنوانه « سير الآباء البطاركة » بقلم سويرس بن المفعع ، وهو مسيحي يعقوبي شغل منصب أسقف في كنيسة أشمونين نحو عام ٩٨٥ م . وهذا الكتاب - في الحقيقة - مليء بالواقع المزور والأكاذيب الفاضحة ، ولذا طعن في صحته كثير من العلماء في الشرق والغرب . ومن تشكيك في كتابات هذا الرجل ، ورأى ضرورة التثبت منها Nabia Abbot مؤلفة كتاب The Kurrah Papyri وتبهت هذه الكاتبة كذلك إلى حقيقة هامة بالنسبة لما كتب عن الأمويين إذ قالت مامعناه : إن معظم المراجع التي ت Medina بعلومات عن الأمويين ونظام حكمهم كتبها أناس أعداء لهم مثل العباسيين والمسيحيين من أمثال سويرس بن المفعع (٢) . كذلك حذر Bell في مقاله من الثقة الكبيرة في المصادر القبطية The Administration of Egypt

(١) انظر Orientalia Notes on the Coptic Language : مقال في مجلة ٤٤ ص . ٢٤٤ . عام ١٩٣٤ .

(٢) انظر ص ٥٧ .

حيث إن التنصب الديني قد لعب دوراً كبيراً فيها . وذكر لنا مثلاً من الأخطاء التي وقعت فيها المراجع القبطية وكشفت عنه أوراق البردي (١) .

إننا لا ننكر أنه وقعت هناك في تلك الفترة السحرية بعض مصادمات بين المسلمين والأقباط ، ولكننا بسهولة نستطيع أن نردها إلى أسبابها الحقيقة . بعض هذه المصادمات تم على أيدي المنظرفين من كلا الجانبين ، أو على أيدي العوام الذين تغلب عليهم حدة العاطفة دامماً . وحتى في هذه المصادمات التي وقعت بين الحكام والأقباط فإننا نجد التفسير بسهولة ويسر . لقد كانت هذه المصادمات إما رد فعل لإثارات قام بها الأقباط – كما سنوضح فيما بعد – وإما عمليات اضطهاد وقية قام بها بعض الحكام الظالمين (٢) ، وإما نتيجة للصراع الداخلي بين الأقباط وخاصة بين أبناء الطوائف المختلفة الذي سبب للحكومة متاعب جمة . ومن أمثلة ذلك الصراع ما ذكره يحيى بن سعيد الأنطاكي (٣) في قوله : انقسم أهل مصر قسمين ، وكذلك أهل تinis و تخربوا حزبين ، وصار حزب من الكهنة والعلمانيين مع البطريرك وحزب منهم عليه . وكان كل فريق منهم يصلون في كنيسة مفردة حتى كان الأب لا يكلم ابنه ولا الأمرأة تخاطب بعلها .. ويستعين كل فريق منهم على الآخر بالسلطان . وخرج جماعة من النصارى .. من أهل تinis إلى الإخشيد ساعين به رافعين إليه . ثم ذكر أنه عقب هذه الوشاية أرسل الإخشيد من ثعب إحدى الكنائس . كذلك صرخ « ترتون » في كتابه :

---

(١) انظر ص ٢٨٤ :

(٢) من أمثلة ذلك ما ذكره ابن تغري بردي من اشتئار سليمان بن عل بن عبد الله بن العباس

(٣) هـ بهدم كنائس مصر وأعماها ، وما ذكره سويرس بن المقفع عن عبد العزيز بن مروان أنه أمر بكسر جميع الصلبان التي في مصر .

(٤) انظر تاریخ يحيى بن سعيد ص ٧١٥ - ٧١٦ المنشور في :

، أهل الذمة في الإسلام » بأن كثراً من الظلم الذي لحق الأقباط مصدره أنفسهم ، ومرده الغيرة الدينية بين أتباع الدين الواحد . وقد أتبع ذلك بمنادج كبيرة للصراع بين الطوائف المسيحية وإيقاع كل منها بالآخر . وذكر سويرس ابن المفعع أن شهاساً اسمه بن يامي كان يتولى الدس للنصارى عند الأصيغ ابن عبد العزيز بن مروان وبطشه على أسرارهم . وذكر في مكان آخر أنه في خلافة المعتصم بن هارون الرشيد حصلت وقعة بين رؤساء النصارى ، ودسوا بعضهم البعض ، فأمر والي مصر على بن يحيى الأرمي بهدم البيع أو دفع ثلاثة آلاف دينار .

والشيء الذي نحب أن نبرزه هنا ونجعله واضحاً هو أن الأقباط قد تمعوا في ظل الحكم الإسلامي بحرية دينية لم يجدوها من قبل ، وأنهم باشروا - سواء تحت الأمويين أو العباسين - عبادتهم بحرية تامة . وكل ما كان يحرض عليه الحكام في ذلك الوقت هو أن تترجم لهم دروسهم القبطية وصلواتهم ليتأكدوا أنها لا تحمل أي هجوم أو إهانة للإسلام . وقد عرف ذلك بوجه خاص أيام الأصيغ بن عبد العزيز بن مروان الذي كلف أحد الشمامسة بترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية ، وكان يبحث عن كتب النصارى ويأمر بترجمتها له . وقد اعترف ترتون في كتابه « أهل الذمة في الإسلام » بأن المسلمين يصر منذ البداية اتجهوا إلى عدم احتلال أي كنيسة ، وعدم التدخل في شئون الأقباط ، وبأن عمرو بن العاص نفسه لم يمدد يده إلى أي شيء من أملاك الكنائس . وذكر أن أول كنيسة بنيت بالقدس أيام المسلمين كانت في ولاية مسلمة بن مخلد ( ٤٧ - ٦٨ ) وأنه لما أنشأ عبد العزيز بن مروان حلوان سمح بإقامة كنيسة هناك ، ثم بنيت أخرى ، وبني ديران .

ومن الثابت تاريخياً أن محمد بن طفج الإخشيدى - على عكس ما أشيع عنه - كان يحسن معاملة المسيحيين ، وكان يشارك في أعيادهم ويحضر

احتفالاً لهم الدينية . وقد ذكر المسعودي وصفاً لأحد هذه الاحتفالات فقال : « وقد حضرت سنة ٣٤٠ ليلة العطاس بمصر والإخشيد محمد بن طفح أمير مصر في قصره المعروف بالمخثار في جزيرة الروضة .. وقد أمر فأسرج في جانب الجزيرة وجانبي القسطاط ألف مشعل إلى جانب ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع .. » .

وضرب للواسيرس بن المفعع أمثلة للأاضطهاد الديني الذي عاناه المصريون تحت حكم الرومان ، ومنها قوله عن شخص يدعى « أغاثون » : « وكان قساً في الكنيسة ، وهو من أهل مريوط . كان في زمن هرقل يتربى بزير العلمانيين في مدينة الإسكندرية ، ويطوف في الليل يثبت الأرثذكسيين المختفين ويقضى حواجزهم .. وإذا كان النهار حمل على كتفه قفة فيها آلات النجارين ، وبُطّهر أنه نجار حتى لا يعرضه الخالفون (كذا) » .

و قبل أن نترك هذا العامل نحب أن نشير إشارة خاطفة إلى أن كثيراً مما أصلته المستشرقون بالإسلام من اتهامات في هذا الموضوع مرجعه سوء قراءتهم أو انتواء فهمهم للنصوص العربية وترجمتهم الخاطئة لمدلولها . وأكثري هنا بأن أذكر اسم المستشرق الشهير B. Evetts محقق كتاب سويرس ابن المفعع السابق الإشارة إليه . لقد قرأ عبارة ابن المفعع « فأخصى جميع الرهبان .. وجعل عليهم جزية » - قرأها : فأخصى وترجمها إلى « mutilated » ورتب على ذلك نتائج كثيرة (١) .

إذا نحن انتقلنا إلى العامل الأخير ، نجد أن تفوق أي لغة وتمتعها بالميزة يرجع إلى قيمتها الذاتية ، وفي حالة اللغة العربية نجد قيمتها عظيمة ، وتفوق إلى حد كبير القيمة الذاتية للغة القبطية في ذلك الوقت . فهي من ناحية لغة الحكام ، ومن ناحية أخرى لغة النبي . وهي بالإضافة إلى ذلك لغة حضارة عظيمة وثقافة تفوق أختها القبطية . ويشير « فندريس » في كتابه « اللغة »

(١) انظر ١/٦١

إلى التفوق الذي تتمتع به بعض اللغات ، ومن بينها اللغة العربية ، بقوله : « والقدرة على الانتشار التي شاهدتها في بعض اللغات الهندية الأوروبية أو السامية — كاللغة العربية مثلاً — ترجع بلا شك إلى أسباب معقدة ، ولكن القيمة الذاتية للغة لها في ذلك نصيب » .

ويمكنا أن نقدر الفجوة بين اللغتين القبطية والعربية في هذا الصدد إذا أخذنا في الاعتبار الحقائق التاليتين :

أولاً : أن اللغة العربية كانت قد انتشرت في كثير من أنحاء العالم وتمثلت ثقافات وحضارات كثيرة مما أعطاها ميزة ضخمة وقيمة كبيرة . وبمروءة الزمن ازدادت هذا العامل قوة ، فما أن جاءت العربية إلى معركتها الخامسة مع القبطية حتى كانت قد أصبحت لغة ثقافة عالية .

ثانياً : أن اللغة القبطية في فترة احتكارها باللغة العربية كانت في موقف ضعيف بشكل واضح . فقبل ذلك بمنتهى طولية كانت اللغة القبطية قد وقعت فريسة للغة اليونانية التي أصبحت فيما بعد لغة الكتابة . وهذا يعني أن الأعمال الكتابية الهامة كانت تكتب باليونانية لا القبطية ، ويعني بالتالي إضعاف اللغة القبطية درجة عظيمة .

ويقال كذلك إن لغة الثقافة في مصر لم تكن القبطية ، بل كانت السريانية التي كانت تستعمل وخاصة في جامعة الإسكندرية العتيقة ، والتي صارت مأولة للدارسين بعد هجرة بعض الأساتذة السوريين إلى مصر وعلهم على نشر ثقافتهم .

ويقال أيضاً إن اللغة القبطية لم تكن وحدها لغة الحديث في بعض أجزاء من مصر بما فيها الإسكندرية ، وإنما كانت في صراع دائم مع اللغة اليونانية على ذلك (١) . بل أكثر من هذا يقال إن اللغة القبطية كانت لغة الحديث

---

(١) عبد المسيح : الأساس المتبين في خ秉 لغة المصريين ص ٩٠ .

لعامة الشعب وغير المثقفين فقط ، وإن الطبقات الأرستقراطية كانت تفضل الحديث باللغة اليونانية (١) .

كذلك من الثابت أن الأقباط في ذلك الوقت لم يكونوا غيورين بدرجة كبيرة على لغتهم حتى لفظوا عن أحرفهم الهجائية في القرن الرابع أو الخامس الميلادي واختاروا أبجدية جديدة استغرى معظمها من الأحرف اليونانية وأضيف إليها سبعة رموز من الكتابة الديموتية لعبر عن أصوات لا وجود لها في اللغة اليونانية (٢) .

ومن أجل هذا حين جاءت حركة الترجمة النشطة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية وبلغت قمتها ، لم يجد الباحثون شيئاً ذا بال يستحق الترجمة من القبطية إلا ما ندر . ولا توجد إشارات إلى ترجمات من القبطية إلى العربية حتى نهاية القرن الرابع المجري (العاشر الميلادي ) ، اللهم إلا ما يتعاقب بالديانة المسيحية . وربما كانت الترجمة الوحيدة التي وصلنا نصها هي تلك التي قام بها سويرس بن المقفع وأصحابه في القرن الرابع المجري ، والتي أطلقوا عليها اسم : « سير الآباء البطاركة » . وتأخذ دائرة المعارف الإسلامية ( مادة قبط ) برأى Casanova أن الترجمة العربية للأعمال القبطية لم تتم إلا في أيام الفاطميين . وتذكر الدائرة أن الأدب القبطي لم يكن أدباً راقياً ، وأنه عاش في شكل ترجمات معظمها من اليونانية ، مثل ترجمة العهد القديم والمعهد الجديد وقصص حياة الأولياء والقديسين .

فإذا نحن أردنا أن نخلل هذه العوامل ، ونرتئ تلك الأحداث ترتيباً

(١) انظر جاك تاجر : أقباط و مسلمون ص ٣٠٤ ، و انظر أيضاً : بهي الدين زيان : حياة النثر في مصر إلى القرن الرابع المجري ( رسالة دكتوراه بكلية الآداب جامعة القاهرة ) ص ١٤١ - ١٠٢ ، و عبد الرزاق حميد : الأدب العربي في مصر من ١٧ .

(٢) عبد المسيح : الأساسين ص ٥ - ٩ و انظر أيضاً ص ٧٦ من A.C. Moorhouse D. Diringer : The Alphabet The Triumph of the Alphabet و ص ٤٧٠ من :

## الفصل الثاني

### المرحلة الأولى من الصراع

#### مرحلة الماوشة

تُحدد هذه المرحلة بفترة ما بين الفتح الإسلامي (سنة ٢٠ هـ) ونهاية القرن الأول المجري (٧١٨ م). وفيها وجد تبادل بين اللغتين العربية والقبطية وتأثير من كلا الحانين على الآخر. وعلى الرغم من تأييد اللغة العربية بالعرب الفاتحين، فقد كان ميزان القوى متعدلاً لمعظم الوقت، ولم تتمكن أى من اللغتين من إحراز نصر يذكر على الأخرى. وكانت الأسباب التي أدت إلى هذه النتيجة ما يأتي :

١ - حسن معاملة العرب للمصريين. فعلى عكس ما ذكره المؤرخون الأقباط تؤكد أوراق البردي -التي يرجع عهدها إلى الفتح الإسلامي والتي كشفت حديثاً - حسن معاملة العرب للأقباط وسلكهم المشرف جبال أهل الذمة. ولدينا وثيقتان بهذا كشفهما البروفسر جروهمان يرجع تاريخهما إلى عام ٢٢ = ٦٤٢ م. وإحدى الوثيقتين مكتوبة باللغة اليونانية وقد كتبها الشهاس يوحنا مسجل العقود وألحق بها نص آخر باللغة العربية. ويقول النص العربي : «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَخْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَابِرٍ وَزَمَلَاؤِهِ الْخَارِبُونَ مِنَ النَّعَاجِ لِلذِّبْحِ فِي هِيرَا كَلِيوبُولِسِ». لقد أخذنا من أحد وكلاء تيودورا كبس النجل الثاني لآبا قيرس ومن نائب خريستوفوروس أكبر أنجاش آبا قيرس خمسين نعجة للذبح، وخمس عشرة نعجة أخرى. وقد أعطاها لإطعام رجال مراكبه وفرسانه وقواته مشاته . . . . . تحرر في شهر جمادي

الأولى سنة ٢٧٢ وكتبه ابن حميد ، وجاء في ظهر الورقة ما نصه : « شهادة بتسليم النعاج للمحاربين ولغيرهم من قدموا البلاد وهذا خصبا (كذا) عن جزية التوقيت الأول ». وقد علق جزو همان على الفصين بقوله : « إن هذه المعاملة إزاء شعب مغلوب قلما نراها من شعب متصر » . وقد كتب ميخائيل السوري بطريركيعقوبيين في أنطاكية يقول : « إن رب الانتقام استقدم من المناطق الحنوية أبناء اسماعيل لينقذنا بواسطتهم من أيدي اليونانيين .. وقد أصابنا خير ليس بالقليل بتحررنا من قسوة الرومان وشروعهم ، ومن غضبهم وحفيظتهم علينا . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى سادت الطمأنينة بيننا (١) ». ووصف الأسقف المؤرخ سويرس بن المفع شعورهم بقوله : « كانت الشعوب فرحين مثل العجول الصغار إذا حل رباطهم وأطلقوا على ألبان أمهاتهم ». ويعلق الدكتور جاك تاجر على وصف سويرس بن المفع بقوله : « وسويرس على حق في وصفه لأن الأقباط لم يعاملوا هذه المعاملة اللينة من مدة طويلة . أضف إلى ذلك أن العرب أثناء ولادة عمرو لم يحاولوا أن يضغطوا على الأقباط ليعتنقوا الإسلام ولم يضطهدوهم (٢) » .

٢ - استمرار استعمال اللغة اليونانية (أو القبطية) بوصفها لغة رسمية حتى عام ٨٧٥ = ٧٠٦ م عندما أصدر والي مصر إذ ذاك وهو عبد الله بن عبد الملك بن مروان أوامره بإحلال العربية محلها (٣) . وفي التوزع رئيس الديوان القبطي وكان اسمه أثناسيوس وحل مكانه ابن يربوع الفزارى الحمصى . وتشير المصادر العربية إلى أن اللغة الرسمية إذ ذاك كانت القبطية وحدها ، في حين أن الباحثين الأوربيين يرون أنها كانت اليونانية فقط . والذى يبدو لي أن كلتا اللغتين كانت مستعملة في الكتابة في ذلك الوقت ،

(١) جاك تاجر : أقباط و مسلمون ص ١٨ ، و انظر أيضاً ص ٦١ .

(٢) المرجع نفسه ص ٧٣ انظر أمثلة أخرى في (المجتمعات الإسلامية في القرن الأول) لشكري ف يصل ص ١١٩ وما بعدها .

(٣) المقربى : الخلط ٩٨ ، والولاة الكندى ص ٥٨ - ٥٩ .

اليونانية بوصفها اللغة الرسمية في الدواوين والمصالح الحكومية ، والقبطية بوصفها لغة العامة وكانت تكتب بها عقودهم وخطاباتهم ووثائقهم . ويتبين من بعض الوثائق المكتوبة بين سنتي ١٥٩٥ م و ٦٧٥ هـ أن كلتا اللغتين كانتا تستعمل جنباً إلى جنب ، وأحياناً مع اللغة العربية . والنسبة الكبرى في مجموعة من هذه الوثائق كانت باللغة القبطية ( ٨٥ % بالقبطية و ٩ % باليونانية و ٦ % بالعربية ) (١) ولكن هناك وثائق أخرى كتبت باليونانية فقط . ولم يكن من الممكن – بالطبع – أن يتم تعريب الدواوين بين يوم وليلة؛ وهذا فتحن نفترج السنوات العشر الأولى من القرن الثاني المجري أو نحوها حينما أصبحت اللغة العربية لغة المصالح الحكومية إما بالكلية، أو كلغة أولى في الوثائق ذات اللغتين . ومع ذلك فقد عثر على وثيقة من وثائق البردي كتبت باللغتين اليونانية والعربية ويرجع تاريخها إلى عام ٢٢ هـ (٢)، أي نحو ٦٥ عاماً قبل المحاولة الرسمية لتعريب الدواوين في مصر . ومن تلك الوثيقة يمكننا أن نقول إن استعمال اللغة العربية في الوثائق الرسمية ( ولكن كلغة ثانية ) كان قد بدأ وإن لم يكن مع الفتح الإسلامي بقليل . وأول وثيقة كتبت كاملاً باللغة العربية يرجع تاريخها إلى عام ٩٠ هـ = ٧٠٩ م .

٣ - أما العامل الثالث من عوامل التعادل بين اللغتين العربية والقبطية خلال القرن الأول المجري فيرجع إلى وضع الأقباط الوظيفي في الدولة . فقد حل الأقباط في إدارة البلاد محل الروم الذين غادروا مصر ، والذين كانوا يشغلون كثيراً من الأعمال فيها ، كما ظلوا في وظائفهم العامة كما كانوا قبل الفتح سواء ، فكان منهم حكام المحافظات ورؤساء الدواوين وصغار الموظفين . ومن هؤلاء عامل يدعى ميناس كان هرقل قد ولاه أعمال المنطقة الشمالية من البلاد واستبقاء المسلمين في عمله . وهناك آخر اسمه شنودة وكلت إليه

(١) انظر ص ٨ من : P.E. Kahle : *Bala'izah* ( لندن ١٩٤٥ ) .

(٢) ميق نفس الوثيقة .

إلى ١٠١ = ٧١٩ م)، أو أمره بإحلال المسلمين أو العرب محل الأقباط. ونتيجة لذلك « نزعت موازيت القبط عن الكور واستعمل المسلمون عليها »<sup>(١)</sup>. ولكن يبدو – على أى حال – أن هذه الحركة لم تكن شاملة في أى عصر من عصور التاريخ بدليل أننا نجد من بين أسماء محصلى الضرائب في القرن الثالث المجرى أسماء قبطية من مثل مينا بن شنودة وسوبرس بن زكرييا ويوحنا بن مينا . ومن الثابت كذلك أن رؤساء المالية ظلوا أقباطاً طوال العصر الأموي .

٤ – كان عدد العرب قليلاً طوال هذا القرن إذا قيس بعدد السكان الأصليين . فقد كان عدد قوات الجيش العربي الفاتح بأمداده المتعددة يتراوح بين اثنى عشر ألفاً وستة عشر ألفاً يعيشون على العطاء الذي تصرفه الحكومة لهم . وبعد الفتح نظمت لهم خطوط في الفسطاط ونزلت كل قبيلة خطة ، أى جهة معينة أو قسمها من أقسامها ، وعرف كل قسم باسم القبيلة أو الجماعة التي نزلت فيه . ولم يخرج عن الفسطاط من جيوش الفتح إلا عدد قليل من القبائل مثل همدان التي نزلت في الحيزرة ، وعدد آخر نزل بالإسكندرية . وفي خلافة معاوية كان بالفسطاط أربعون ألف عربي، وفي الإسكندريةاثنا عشر ألفاً زيدت إلى سبعة وعشرين ألفاً بعد شكوى قائدتها من قلة العدد . ومع أننا نعرف بأن أرقام هؤلاء الجنود لا تدل على عدد العرب الحقيقيين في مصر لأن المصادر التاريخية ربما أغفلت ذكر جماعات عربية استوطنت مصر أيام الفتح غير هؤلاء الجنود، وذلك مثل قبيلة « بلي » التي نقلت بعض بطنها من الشام إلى مصر في أيام عمر بن الخطاب وأقامت بالصعيد<sup>(٢)</sup> ، فإنه من الواضح أنه حتى مع مضاعفة التقدير فإن عدد العرب

(١) كان القطر المصري مقسماً إلى أجزاء، كل منها يسمى « كورة »، وعلى رأسها كان صاحب الكورة، ومساعده كان يحمل اسمًا يونانيًا هو « جسطل » أو « مازوت » وينظر الدكتور مراد كامل أن كلمة « مازوت » لا تبغي أو يومنية الأصل وأن معناها « قاض ». (ص ٧١).

(٢) انظر البيان والاعراب ص ٩٧.

لن يبلغ في أى فترة من فترات هذا القرن عشر معاشر عدد السكان الأصليين الذين يزيلون في أقل تقدير على سبعة ملايين نسمة (١).

وبالإضافة إلى القلة العددية كانت هناك أوامر مشددة على الجنود ألا يستكينوا إلى الراحة ، وأن يظلو في وضع استعداد دائم ، أو على حد تعبير عمرو بن العاص « واعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيمة لكثرة الأعداء حولكم ، وتشوف قلوبهم إليكم وإلى دياركم معدن الزرع والمال والخير الواسع (٢) ». كذلك أمروا ألا يتزلوا الريف إلا في وقت الربع لينالوا من « خبره ولبنه وخرافه وصيده » وليسوا خيولهم ويقطعنها . ومن تحذيرات عمرو في هذا الشأن : « ولا أعلم أحداً قد أسمن نفسه وأهزل فرسه . واعلموا أني معرض الخيل كاعتراض الرجال فمن أهزل فرسه من غير علة خططت من فريضته قدر ذلك » وقد روى ابن عبد الحكم عن عمر بن الخطاب أنه أمر مناديه أن يخرج إلى أمراء الأجناد ويسلامهم أن يخبروا الرعية أن عطاهم قائم وأن رزق عبادهم سائل فلا يزرعون . وروى ابن وهب

---

(١) تختلف المراجع في تقدير عدد المصريين الذين كانوا يعمر أيام الفتح وليس هناك أي دليل على ترجيح أحد الآراء على الآخر . وقد قدرهم جرجس فيلوثاموس بـ ٣٨٧٠٠٠٠٠ مليون نسمة (الكتاب القبطي سنة ١٩٦١ ص ١٢) وقد قدرتهم دائرة المعارف الإسلامية بحوالي أربعة وعشرين مليونا (ص ٩٩٧ مادة Kibt) . وإذا أردنا أن نقدر عددهم بناء على مقدار الجزية الذي جمعه عمرو بن العاص صادقتنا صوابة أخرى هي أن المراجع تختلف في هذا المقدار على الوجه الآتي :

(أ) ذكر البلاذري في فتوح البلدان أن خراج مصر ز من الفتح كان ألف دينار أي أن من وجبت عليهم الجزية (و هم من عدا الأطفال والنساء والعجائز ) كان عددهم مليون نسمة ، يرافق دينار ين الفرد الواحد .

(ب) أما ابن عبد الحكم في فتوح مصر فقد قدر عدد من وجبت عليهم الجزية ستة ملايين نسمة وكذلك فعل السيوطي في حسن الحاضرة .

(ج) ذكر المقريزي في الماطر (١ / ١٣٦ ط لبنان) أن عدد من دفعوا الجزية كانوا بـ ٦٣٠٠٠٠٠ مليون شخص .

(٢) انظر حسن الحاضرة (ط الشرقية) ٦٧/١

أن شريك بن سمي العطني أتى عمرو بن العاص فقال : إنكم لا تعطوننا ما يكفيينا ، أفتاذن لي في الزرع ؟ قال عمرو : ما أقدر على ذلك. ففرع شريك من غير أمر عمرو فكتب عمرو إلى عمر يخبره بذلك فكتب إليه أن أبعث إلى به فبعث به إليه فقال له عمر : « لأجعلنك نكالاً من خلفك ». وحيث كان معظم العرب يعملون كأفراد في القوات المسلحة وينظر إليهم على أتمه خزانا فاتخون فإننا لا نتوقع قيام علاقات طيبة – البعض الوقت – بينهم وبين الأقباط. أما العرب الذين لم يفدو بوصفهم جنداً عاملين فكانوا قلة ، وتفرقوا في البلاد ، فنزل بعض من « نجم » و « جذام » بالحروف الشرقية (١) ، وبعض من « بلي » بسوهاج واستقرت جهينة في الصعيد ، وبعضهم نزح إلى الصحراء . ومن أشهر المناطق التي سكنتها القبائل الأولى كذلك القبوم وبهنسا وبوصير وسخا وإتريب ومنوف وسمنود وطحا .

هـ – في النصف الثاني من هذا القرن فرضت ضريبة على الرهبان لأول مرة ، وقد فرضها عبد العزيز بن مروان في عام ٦٨٥ هـ م وقدرها دينار عن كل فرد بمحة أنه ليس من العدل أن تدفع الطبقات الفقيرة الضرائب ويعني منها الرهبان والمطارنة والبطاركة الذين يملكون ثروات ضخمة . واستناداً إلى ما ذكره المؤرخ القبطي سويرس بن المفعع ، فرض الأصيغ ابن عبد العزيز بن مروان (توفي عام ٨٦٥ هـ = ٧٠٥ م) – الذي كان نائباً عن والده عبد العزيز بن مروان في حكم مصر خلال فترة ولايته – ضرائب على الرهبان والأقباط وأراضيهم ، وقبل عهده لم تكن هناك أي ضرائب مفروضة عليهم (٢) .

(١) يشمل الحروف الشرقى القرى الواقعة على الجانب الشرقي من الوجه البحرى وباليس وكان يشمل كل البلاد النابعة الآن لمحافظى القليوبية والشرقية ، وما يقع إلى شرق مركز السنبلاوى وأجزاء بلاد مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية .

(٢) يبدو أن الضريبة الأولى التي فرضها عبد العزيز بن مروان على الرهبان هي هذه الضريبة التي أقر بها الأصيغ . أما إذا اختلفت فلعل الأولى كانت تقابل ما يسمى بالجزية أو ضريبة .

كذلك قال سويرس بن المفعع إن الأصيغ أمر حكام المحافظات وموظفيها في كثير من مدن مصر العليا والسفلى أن يعتنقوا الإسلام أو يغادروا وظائفهم . وقد كان من نتائج هذه السياسة ذات الشقين أن دخل كثيرون دين الإسلام ، منهم « بيت » حاكم الصعيد ، وأخوه « تيودور » حاكم مريوط وعدد لا يحصى من القسس وعامة الشعب .

ومن الطبيعي ألا يظهر أثر هذا العامل في خلال تلك الفترة وأن تظهر نتائجه في المرحلة التالية .

وباستثناء هذا المثال الواحد لم يكن هناك ضغط مباشر على الأقباط ليكونوا مسلمين ، وإنما كان عليهم أن يدفعوا نوعاً أو أنواعاً معينة من الضرائب (١) .

---

= الروس ، أما الثانية فكانت تقابل ما يسمى بالخراب أو ضريبة الأرض . وبقى قول سويرس « وقبل عهده لم تكن هناك أى ضرائب مفروضة عليهم » في حاجة إلى نظر .

(١) كان على الأقباط أن يدفعوا نوعين من الضرائب :

١ - الجزية أو ما يسمى بضريبة الروس . وتنكر المصادر الغربية أن مقدارها ديناران في العام على كل شخص باستثناء النساء والأطفال والشيوخ . ولكن أوراق البردي تثبت أنها كانت تقدر على حسب ثروة الشخص وليس ثابتة . ويبين أن ما ذكره المؤرخون العرب عن هذا المقدار ما هو إلا متوسط ما يؤديه دافعو الضرائب ليس إلا . ومعنى هذا أن الجزية المفروضة على كل قرية كانت تؤخذ بحسب عدد الروس في اثنين ، ثم يقسم الناتج على أبناء القرية بحسب ثروة كل فرد . وقد ثبت من قوائم الضرائب المكتوبة باللغة اليونانية والتي يرجع تاريخها إلى القرن الأول للهجرة أنه كانت تحصل أحياناً مبالغ أقل من دينارين بل أقل من دينار وقد يصل الرقم الحصول إلى أربعة دينارات إذا كان الشخص من ذوى الثراء .

٢ - ضريبة الأرض ، وكانت تختلف من وقت إلى وقت تبعاً لدرجة الفيضان السنوي من ناحية ، ولسياسة كل حاكم من ناحية أخرى ( انظر النجوم الراهن ٢٤/١ ، وفتح العرب لمصر باتلرس ٣٩٢ و ٣٩٥ ، والأعلاق النفيضة لابن رسته ص ١١٨ و ١١٩ (لندن ١٨٩١) ، A History of Egypt Lane Poole في Egypt ص ١٦ ، و Dictionnaire des Mœurs et de l'Antiquité Egyptienne de la fin du XVIIIe siècle et du commencement du XIXe siècle A. Chassinat ، ص ١٩ و ٢٠ و ٤٢ ، وابن حوقل : المسالك والممالك ص ٨٨ و ٨٩ و ١٠٧ و ١٠٨ ، والمقريزى : إغاثة الأمة ١٣ - ١٨ ، والخطب المقريزى ٩٨/١ و ٩٩ و شكري فيصل ص ١٢٤ .

٦ - وينجح أن نذكر اسم عمر بن عبد العزيز مرة أخرى في هذه المرحلة لأنه كان أول من ألغى ضريبة الرعوس على الأقباط إذا اعتنقوا الإسلام ورفض في ذلك أن يأخذ بمشورة من نصحوه باستمرار تحصيل الجزية نظراً لازدياد من يعتنقون الإسلام . وقد رد عليهم بقوله الشهير : « إن الله إنما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ولم يبعثه جائياً . ولعمري لعمر أشقي من أن يدخل الناس كلهم الإسلام على يديه ». وقد أدت هذه السياسة إلى إغراء بعض الأقباط بالدخول في الإسلام . ولكن مرة ثانية ، لم يظهر أثر هذا العامل خلال هذه المرحلة .

٧ - أن حركات الدخول في الإسلام سارت بطئية في أنحاء البلاد خلال هذا القرن . ولم تحدث موجات ذات بال ماعدا تلك التي سبقت الإشارة إليها ، وما عدا موجات الدخول في الإسلام التي قام بها العرب الباهليون المقيمين بمصر . وقد أشار المؤرخون بالنسبة للقسم الأخير إلى أن عدداً كبيراً من هؤلاء العرب لم يترددوا في تأييد إخوانهم الفاتحين ، وفي تعويض عمرو ابن العاص عن خسائره خلال الفترة الأولى من الصراع .

وكان التبيجة الحتمية لتلك العوامل المتضاربة أن حققت اللغة العربية بعض النصر على حساب اللغة القبطية التي فقدت بدورها شيئاً من قوتها في صراعها من أجل الحياة . وإن بقاء اللغتين جنباً إلى جنب ، وفشل أيهما في القضاء على الأخرى ، لا يعني أنهما كانتا في حالة ركود ، فمن المتوقع أن يكون قد حدث بينهما نوع من التأثير المتبادل ، ومن غير المشكوك فيه أن تكون كل لغة قد تركت شيئاً من معالمها على الأخرى .

# الفصل الثالث

## المرحلة الثانية من الصراع

### مرحلة التقدم

أما المرحلة الثانية فمن الممكن أن تحدد نهايتها بعام ٢١٥ هـ = ٨٣٠ م . والعلاقة المميزة لهذه المرحلة أنه ب نهايتها كان ميزان القوى قد اخْتَل لصالح اللغة العربية التي حققت نجاحاً كبيراً . أما الأسباب التي أدت إلى هذه النتيجة فهي كما يلي :

١ - ازدياد حركة التعرّب للدولة ، وإحلال العرب أو المسلمين محل الأقباط . وقد أدت هذه الحركة بالأقباط إلى أن يهملوا تدريجياً دراسة اللغتين اليونانية والقبطية ، وأن يسرعوا في تعلم اللغة العربية لفتح أمامهم فرص العمل ، أو ليحتفظوا بما في أيديهم من وظائف . ولم تؤد حركة التعرّب إلى أي تذمر أو احتجاج من الأقباط ، إذ كان التعرّب انتقالاً من لغة أجنبية هي اليونانية إلى لغة أجنبية أخرى هي العربية . وكما تعلم الأقباط اليونانية واستعملوها في الدواعين على الرغم من أنها ليست لغتهم ، لماذا لا يتعلّمون العربية ويستعملونها في الدواعين بدلاً منها وهي لغة المنتصرين ، ولغة سُوفَ تفتح أمامهم أبواب الرزق ؟

وليس هذا فحسب ، فإن بعض الأقباط لم يقنع بتعلم اللغة العربية ، وأراد أن يذهب خطوة أبعد في التقرب إلى الحكم فاعتنق الإسلام ، ولم يكتف بعضهم بالإسلام فحاول أن يتسلّب إلى إحدى القبائل العربية على ذلك يشعّ له عند الناس ويجعله ينعم بالمساواة بينهم .

٢ - إحكام الحصار على الأقباط لمنعهم من الفرار من دفع الجزية بأى وسيلة من الوسائل عدا اختيار الإسلام ، ولإحباط مساعدتهم في التهرب من دفع التزاماتهم المالية . وقد بحث الأقباط إلى حيل متعددة قوبلت بردود أفعال مناسبة :

(أ) فقد زاد عدد الأقباط الذين ادعوا حقوقهم في الإعفاء من دفع الجزية بحججة ترهبهم أو انتسابهم إلى الكنيسة ، مما أدى بالوالى إلى فرض جزية مقدارها دينار على كل نسمة ، كما قام بإحصاء جميع الرهبان في كل الكور وأمر لا يرعب أحد بعدهم .

(ب) وبخلاف بعضهم إلى تغيير حال إقامتهم بعد أن انتهت السلطات من تعداد السكان ، وأقاموا في نواح أخرى لم تدرج اسماؤهم في قوائم الضريائب فيها ، مما أدى بالوالى أن يصدر أوامره المشددة بعدم السماح لأحد بالسفر أو الانتقال من قرية إلى قرية بدون أن يكون حاملاً لجواز سفر ، وتغريم من يضبط بدونه مبلغ خمسة دنانير . كذلك صدرت الأوامر بـألا يسمح لقافلة بالانتقال من مكان إلى آخر مالم تكن حاملة لإذن كتابي وإلا تعرضت للمصادرنة .

(ج) كذلك بخلاف بعض المزارعين إلى هجر أراضيهم وقرابهم بحججة عدم استطاعتهم الوفاء بالتزاماتهم المالية (١) ، فاضطررت الحكومة

---

(١) تلقى أوراق بردى «كوم أشقاو» شماعاً من النور على هذه الحركة التي كان محورها الزراع ، وكان الوالى يأمر بإعادتهم إلى قراهم الأصلية . فنراه يكتب إلى صاحب «أشقاو» أنه علم بوجود جالية في أرضه ويطلب منه أن يردها إلى أرضها الأصلية . ونراه يرسل مندوبيه للنظر في حركة الطرف ، ويطلب من صاحب الكورة أن ييسر مهمتهم ، وأن يرسل منهم رجالاً ثقات يعرفون الكتابة ليقوموا في حضرتهم بكتابة أسماء المزارعين وألقابهم ، وليبيتوا أيضاً من أين هربوا وإلى أى جهة ذهبوا . (انظر : د . سيدة إسماعيل كاشف : مصر في فجر الإسلام ص ٢٢٨) .

إلى تبع هؤلاء المهاجرين وردهم ، أو إلى تهجير بعض القبائل العربية وإحلالها محلهم كما سنتحدث فيما بعد .

( د ) وقام بعضهم بثورات دموية قوبلت بشدة ، وأحمدت بقسوة ، ومن ذلك ثورات أعوام ١٠٧ و ١٢١ و ١٣٢ و ١٣٥ و ١٥٦ هجرية (١) .

٣ - تتابع هجرات القبائل العربية إلى مصر لأسباب مختلفة بعضها سياسي وبعضها ديني وبعضها اقتصادي . وقد حدث هذا بشكل مطرد خلال تلك الفترة ، وأحصى مالك ميكيل ما أمكن التعرف عليه من القبائل التي وفدت إلى مصر في الفترة ما بين سنة ١٣٣ هـ إلى ٢٤٢ هـ فوجدها تبلغ ثلاثة وثلاثين قبيلة متفرقة في فروع مختلفة . ويكون التمثيل لهذه الاجرام بما يأتي :

( أ ) قبيلة نجم التي رحل بعضها مع الفاتحين إلى مصر ثم دخلت قبائل كثيرة منهم في القرنين السابع والثامن ، وحطت رحالها في جهات الإسكندرية ، وقد كان منهم أمير حكم مصر عام ١٣٣ هـ ٧٥٠ م . وقد كان تعين وال من قبيلة معينة من أكبر الفرسان المهاجرة فقد كان يرافقه مالا يقل عن عشرين ألف مقاتل من قبيلته .

( ب ) قيس عيلان التي رحل بعض منها إلى مصر عام ١٠٩ هـ ٧٢٧ م بأعداد كبيرة تصل إلى ثلاثة آلاف شخص في رواية ، وخمسة آلاف في رواية أخرى ، وتزلاوا بالحروف الشرقية (٢) ، وصرف لهم الوالي

(١) ذكر المقريزى أن أولى ثورات القبط حدثت عام ١٠٧ هـ ، ولكن أوراق البردي تتحدث عن ثورة في الصعيد أسبق من ذلك حدثت في عام ٩٤ هـ ٧١٢ م .

(٢) يرى المقريزى أن قليلاً من أفراد قيس كانوا قد أتوا مصر قبل تهجير من هجرة في عهد الوليد بن رفاعة الفهمي . وبخلاف مالك ميكيل في ذلك لأنه يرى أن ثلاثة من الحكام القبيسيين حكموا مصر قبل الوليد بين سنتي ٩١ و ١٠٩ هـ ، منهم إثنان من فهم وواحد من عيسى . ولا يمكن أن يحكموا من غير أن يكون قد صاحبهم عدد كبير من قبائلهم .

مرتبات من أموال الصدقة والعشور ، وأمرهم بالزراعة وتربيه الإبل والخيول . وكان يتحصل للرجل منهم في الشهر نحو عشرة دنانير ، ولم يكن عليهم مؤنة في علف إبلهم ولا خيولهم بخودة مرعاتهم . وتضاعف عددهم فيما بعد بشكل ملحوظ ، فسرعان ما تسامع باق أفراد القبيلة بخصب الأرض وكثرة خبراتها فهاجر عدد آخر يبلغ خمسماة أسرة ، ثم بعد ستة آتى نحو خمسماة أسرة أخرى ، وهكذا . وقد حقق تهجير هذه القبيلة أهدافاً كثيرة أهمها :

(أ) الإقامة في منطقة الحوف الشرق التي قام أهلوها الأقباط بثورتهم الأولى عام ١٠٧ هـ حتى يكونوا عامل تعادل في المنطقة .

(ب) محاولة عمل تعادل من نوع آخر بين هذه المرة بين القبائل السنية والعدنانية . فقبل هذه الهجرة لم يكن بأرض مصر من قيس إلا عدد قليل من فهم وعدوان .

(ج) المساعدة على انتشار الإسلام ، إذ سكنت موقعاً آهلاً بالسكان الأقباط . على عكس ماحدث من قبل ل معظم القبائل العربية التي لم تختلط بسكان الريف والقرى إلا قليلاً ، مما جعل انتشار الإسلام في القرن الأول محدود الأثر .

(د) حلها في الزراعة محل المزارعين الذين تركوا أرضهم ، ورحلوا إلى أماكن أخرى ، فكان جزء من مهمتهم ملء الفراغ الذي تركه السكان الأصليون .

وهكذا كان تهجير هذه القبيلة بأعداد ضخمة – بالإضافة إلى موقع سكناها – عاملاً كبيراً من العوامل التي أدت إلى سرعة إدماج العنصر العربي في العنصر المصري ، وأصبحنا نرى في الوجهين البحري والقبلي عرباً تزوجوا من نساء قبطيات اعتنقن الإسلام . كما أصبحنا نرى علاقات اجتماعية طيبة

بين العرب وغيرهم . وهذا ولاشك أعنان على انتشار الإسلام بشكل واسع وبسرعة ملحوظة .

٤— ازدياد عدد الداخلين في الإسلام فرادى وجماعات نتيجة لأسباب كثيرة ، أهمها :

(أ) قوة الحركة الدينية ونشاط الدراسة الإسلامية والערבية في مصر في ذلك الوقت ، وامتلاء مصر منذ أواخر القرن الأول بعلماء الدين والقراء والمفسرين والمحدثين ، على نحو ما ستفصله في الفصل الخامس من هذا الباب .

(ب) كان هناك حركة فردية بين المفكرين في تقبل الإسلام . فقد استجاب له كثيرون من الذين كانوا يحسون بأعمق القلق في حياة المسيحية ويعانون أقسى الآلام حين يرون أمام أعينهم تطاحن فرقها وتنازع مذاهبها . وقد كتب بتلر في شأن هذا اللون من الناس يقول: « وأما الحقيقة المرة فهي أن كثيرين من أهل الرأى والخصافة قد كرها المسيحية لما كان منها من عصيان لصاحبتها ، إذ عصت ما أمر به المسيح من حب ورجاء في الله ... ومنذ بدأ ذلك فهو للاء العقلاء لخاؤا إلى الإسلام فاعتصموا بأمنه واستظلوا بداعته وطمأننته وبساطته (١) ».

(ج) الإغراء المادى المتمثل في الإعفاء من الجزية كما سبق أن أشرنا . وكان هذا الإغراء متمثلاً بشكل أوضح في المدن ، وبين أرباب الوظائف ، وأصحاب المهن غير الزراعية ، لأن معنى إعفائه من الجزية إعفاؤه الكامل من دفع ضريبة للحكومة . أما إعفاء الفلاح من الجزية فلم يكن يغطيه من دفع ضريبة الأرض المعروفة باسم « الخراج » . فالخراج كان مربوطاً بالأرض يتحمله صاحبها حتى لو أسلم

(١) انظر شكري ف يصل : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص ١٥٣ .

أو باعها لسلم . وهذا يقول المستشرق دى ساسى : « لعل ذلك أحد الأسباب التي دعت إلى بقاء المسيحية في الأقاليم مدة أطول منها في المدن ». كذلك كان فقد الرهبان لامتيازاتهم المادية عاملًا من عوامل ازدياد اعتناق الإسلام بينهم ، مما أدى إلى تناقض عدد الرهبان ، وهجر الأديرة شيئاً فشيئاً حتى صارت خراباً (١) .

( د ) يقول المقريزى : لم ينتشر الإسلام في قرى مصر إلا بعد المائة من تاريخ الهجرة عندما أنزل عبد الله بن الحبّاب مولى ساول قيساً بالحوف الشرقي . فلما كان بالمائة الثانية كثُر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها . وقد سبق حديثنا عن المigrations العربية وبيان أهميتها في نشر الإسلام .

( ه ) وقد تحدث سويرس بن المفعع عن موجات عددة من الدخول في الإسلام تمت في تلك الفترة . وهذه الموجات - من وجهة نظر علم اللغة - بعض النظر عن أسبابها الحقيقة قد قوّت إلى درجة كبيرة من مركز اللغة العربية . ونحن نشير هنا إلى الحالتين الآتتين اللتين ذكرهما ابن المفعع :

١ - في ولاية حفص ( بين عامي ١٢٤ هـ = ٧٤١ م و ١٢٨ هـ = ٧٤٥ م ) اعتنق الإسلام آلاف من الأقباط يصل عددهم أربعة وعشرين ألفاً (٢) .

٢ - في ولاية عون ( من ١٣٣ هـ = ٧٥٠ م إلى ١٣٦ هـ = ٧٥٣ م ) ومن ١٣٧ هـ = ٧٥٤ م إلى ١٤١ هـ = ٧٥٨ م ) فرضت ضرائب باهظة على

(١) جاك تاجر ص ٨٨ ، وانظر شكري ففصل ص ١٥٣ و ١٥٤ ، ومصر الإسلامية للخرابوطي ص ٣٠ .

(٢) يبدو أن سبب اعتناق هذا العدد الكبير الإسلام في عهد حفص أنه نادى بإعفاء كل ذي من دفع الخراج . انظر : ترتون في كتابه : أهل الذمة في الإسلام ص ٣٨ .

الأقباط لدرجة أن كثراً منهم تخلوا عن دينهم المسيحي وتبعوا عبد الله<sup>(١)</sup> . ولست أزعم أنه بانتهاء هذه الفترة كان كل شخص يعرف اللغة العربية ، ولكننا نزعم على الأقل أنه بانتهاها كان كل شخص يعرف العربية يحس بع坎ته في المجتمع ويشعر أنه ابن من أبنائه بخلاف من أصر على تمكّنه بلغته الأصلية ، ولم يحاول تعلم اللغة العربية فقد أحسن بافضل عن المجتمع ، وشعر بغربة لا يمكن أن يحس بها الشخص في وطنه . وأقرب مثل لذلك ما ذكره الشهابي يوحنا أنه بينما كان مطران أوسيم في طريقه للمثول بين يدي الخليفة مروان الذي حلَّ إلى مصر عام ١٣٢ هـ = ٧٥٠ م ألفاه الخند أرضًا وأخلوا بضربيه على عنقه وعلى أضلاعه .. ولم يستطع المطران أن يتفاهم معهم لأنه كان لا يُعرف اللغة العربية وكان محتاجاً إلى مترجم ليترجم له ما يفوهون به .

---

(١) يعني الخليفة أبي جعفر عبد الله بن محمد .

# الفصل الرابع

## المرحلة الثالثة من الصراع

### مرحلة النصر

هي آخر مراحل الصراع والتوتر ، وقد شملت بقية القرن الثالث المجري ومعظم القرن الرابع أو جميعه ، وتلتها مرحلة من الهدوء والاستقرار بدأت مع القرن الخامس . ويرجع ذلك للعوامل الآتية :

١ - ازدياد المigrations العربية خلال هذه المرحلة . ومن أشهر القبائل المهاجرة في تلك الفترة :

( ١ ) قبيلة الكتنز ، ففي سنة ٢٤٠ هـ = ٨٥٤ م في خلافة المتوكل حدثت هجرة كبيرة إلى مصر من ربيعة ، حيث جاءت قبيلة الكتنز وهي إحدى بطون ربيعة ، وتفرق رجالها في جهات كثيرة ، ونزلت طائفة منهم في أسوان وشمال النوبة . وفي سنة ٢٥٦ هـ رافقت ربيعة جهينة إلى البجة شرقاً ، وكانت البجة تشن الغارات على القرى الهرقية في كل وقت حتى أخربوها ، فقادت ربيعة بمنهم من ذلك حتى كفواهم ثم تزوجوا منهم ، وفي ذلك الوقت أعيد كشف مناجم الذهب القديمة في صحراء النوبة ، مما أغري العرب على الإقبال على مصر العليا للاستيلاء على هذه المناجم . وخرجت قبيلة الكتنز من ذلك بنصيب الأسد فكثرت أموالهم واتسعت أحواهم (١) .

(١) انظر قبائل العرب في مصر لأحمد لعن السيد / ١٩٤ .

( ب ) قبيلة هلال وسلم اللتان هاجرتا في القرن العاشر . فحين أصبح الفاطميون سادة في شمال إفريقيا ، ونشروا نفوذهم على مصر والشام في سنة ٣٨١ هـ = ٩٩١ م دعا الخليفة الفاطمي العزيز ( ٣٦٥ - ٣٨٦ هـ ) قبائل هلال وسلم إلى التزول بمصر فهبطوها وأنزلهم الصعيد (١) .

( ج ) في أول القرن العاشر الميلادي اضطرت سلالة عصر الطيار إلى التزوح عن الحجاز تحت ضغط بنى الحسن فاجأت إلى مصر (٢) .

٢ - في عام ٢١٦ هـ = ٨٣١ م نشب أكبر ثورة في البلاد انضم إليها عدد كبير من الأقباط وشملت الوجه البحري كله . فاضطر المأمون إلى أن يحضر بنفسه إلى مصر ويخدمها بشدة . ويقول المقريزى في ذلك : فلما كان في جمادى الأولى سنة ٢١٦ انقض أسفل الأرض بأسره عرب البلاد وقطبها ، وأخرج جوا العمال وخلعوا الطاعة لسوء سيرة عمال السلطان فيها ، فكانت بينهم وبين عساكر الفسطاط حروب . وبعد هذه المعركة لم تقم للأقباط قائمة ودخل كثير منهم الإسلام . ويعلق المقريزى على إخمام المأمون للثورة قائلاً : ومن حيث أذل الله القبط في جميع أراضي مصر وخذل شوكتهم ، فلم يقدر أحد منهم على الخروج ولا القيام على السلطان ، وغلب المسلمين على القرى .

٣ - من الثابت أنه منذ القرن الثالث الهجري أخذ عدد المسيحيين في مصر يتناقص ، ولم يعد لهم أغلبية عددي هناك . ويعتبر عصر الحكم بأمر الله (من ٣٨٦ هـ إلى ٤١١ هـ = ٩٩٦ م إلى ١٠٢٠ م ) نهاية النفوذ المسيحي في مصر .

ويعلق الدكتور جاك تاجر على عهد الحكم بقوله : إن هناك حقيقة

(١) المرجع السابق ١/٥٥ .

(٢) المرجع السابق ١/٦٣ و ٧٠ .

واقعة لا سيل إلى انكارها ، وهي أنه قبل أن يترك الحكم عرشه قضى على نفوذ النصارى في مصر . ومن ذلك الحين أصبح الأقباط مهملين في الدولة ، وأصبح تاريخهم عبارة عن جملة أحداث ثانوية ، وفقدوا بعد ذلك شخصيتهم تدريجياً ليندمجوا في سواد الشعب ١.

وشتاً فشيئاً زاد دخول الأقباط في دين الإسلام . ولم يأت القرن الثامن المجرى = الرابع عشر الميلادي حتى كان عدد المسيحيين لا يزيد على عشر مجموع السكان .

٤ - في عام ٢١٨ هـ = ٨٣٣ صدرت أوامر الخليفة المعتصم العباسى إلى واليه على مصر كيدر بن نصر بتسريح الجيش العربى وشطب أفراده من ديوان الجناد ، وقيد الآتراك فى مکانهم . وقد أدى هذا إلى تقليل النفوذ الرسمى للعرب فى مصر ، ولكنه فى نفس الوقت قوى من مركزهم الاجتماعى وبالتألى من مركز اللغة العربية . فلقد كانت النتيجة الختامية هي محاولة العرب الخديبة البحث عن وظائف مدنية لهم ، أو الاشتغال بالأعمال الحررة كالزراعة والتجارة ، والعمل على الاندماج فى السكان الأصليين . والسعى لاكتساب صداقتهم ، وإنشاء علاقات أسرية معهم .

٥ - استمرار إجراءات تعريب الدولة . وصبغها صبغة إسلامية . والتمسك بشرط الإسلام لمن يريد شغل أى وظيفة في الدولة أو البقاء في منصبه . وأشار في ذلك إلى الأمثلة الآتية :

(أ) في سنة ٢٣٥ هـ أصدر الخليفة المتوكل نشرة يحدى فيها من توظيف اليهود والنصارى في الوظائف الرئيسية .

(ب) اعتنق اليهودي يعقوب بن كلس الإسلام في ظروف لا تؤيد بحال صدق عواطفه الدينية . كان أصله من بغداد وقدم إلى مصر في عهد كافور الإخشيدى ، وكان رجلاً واسع الذكاء والخيال . وحين علم

مجال زمني واسع تم في فترة ما من فتراته هذا التحول الكبير ، ونبداً أولاً  
فنعرض الآراء المختلفة التي قيلت حول هذا الموضوع : ثم ننفي برأينا فيه :

١ - يذهب القس رنو دو Renaudot إلى أنه بعد فتح العرب لمصر  
بنحو قرن تلاشت اللغة القبطية نهائياً من معظم القطر المصري ، ولم تعد تعرف  
إلا بين العلماء الذين كانوا يدرسون تلك اللغة دراسة خاصة .<sup>(١)</sup>

٢ - يرى دي لاسي أوليري De Lacy O'Leary أنه من الصعب  
تحديد الوقت الذي حلّت فيه اللغة العربية محلّ القبطية باعتبارها لغة دارجة بين  
المصريين . وييرى أنه حتى القرن العاشر الميلادي ظلت اللغة القبطية لغة حية  
خارج الأديرة . ويؤيد رأيه بالحقيقة القائلة إنه خلال ذلك القرن ظهر نتاج  
من الشعر القبطي الشعبي وتم جمعه . وهو يحدد القرن التاسع الميلادي باعتباره  
قرن التحول الخطير في تاريخ اللغة القبطية ، كما كان خطيراً في تاريخ الأقباط .

٣ - يرى آدم متر أن القبط لم يبدأ بترك لغتهم القبطية إلا نحو أو آخر  
القرن الرابع الهجري = العاشر الميلادي .

٤ - يرى بول كهيل Paul Kahle أنه في القرن العاشر أو الحادى  
عشر الميلادي أصبحت اللغة العربية راسخة جداً باعتبارها اللغة الرسمية في مصر .

٥ - يرى كاتب مادة « قبط » في دائرة المعارف الإسلامية أنه في القرن  
الحادي عشر الميلادي – وربما قبل ذلك – لم تعد اللغة القبطية لغة مكتوبة .

٦ - يرى الدكتور جاك تاجر أن اضمحلال القبطية حدث بالتدريج  
وعبر عن ذلك بقوله : « لقد كبتت اللغة العربية اللغة القبطية رويداً رويداً  
مثل النبات الذي حرم من الماء والشمس في ظل شجرة كبيرة . لقد ظلت اللغة

---

(١) انظر سيدة كاشف : مصر في نهر الإسلام ص ٢٥٩ .

القبطية على قيد الحياة حتى القرن العاشر الميلادي بل ازدهرت في الأديرة . ولكنها منذ القرن الحادى عشر حرمت من العناية فذابت بسرعة حتى إذا جاء القرن الثانى عشر كادت تلفظ أنفاسها » . ولكنه يرى أنها ظلت مزدهرة في صعيد مصر مدة أطول .

٧ - يؤكّد المُسيو ماسپيرو ( مدير دار الآثار سابقاً ) أن سكان الصعيد كانوا يتكلّمون ويكتبون باللغة القبطية حتى السنتين الأولى من القرن السادس عشر في أوائل حكم الأتراك .

٨ - يرى برنس J.D. Prince أن اللغة القبطية ماتت كلغة حديث منذ نهاية القرن السابع عشر الميلادي . واستند في ذلك إلى ما ذكره الرحالة الهولندي Van Sleb من أنه قابل رجلاً عجوزاً نحو عام ١٦٨٠ م يتكلّم القبطية . ويرى أن الفترة الحرجة في تاريخ اللغة القبطية في مصر هي الفترة ما بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر ، إذ بينهما أخذت القبطية تتلاشى بالتدريج كلغة خطاب . ويعزّز دعواه بما نقله عن المقرizi ( في القرن الخامس عشر الميلادي ) من أنه وجد نساء الأقباط وأطفالهم في الصعيد في وقته يتتكلّمون القبطية غالباً . وبينهـ برنـس رأـيه قـائلاً : ولاشك أنـ اللغةـ القـبطـيةـ قدـ بدـأتـ تـأخذـ دورـاًـ ثـانـويـاًـ حتـىـ قـبـلـ زـمـنـ المـقـرـيزـيـ لأنـهـ فـيـ عـامـ ١٣٩٣ـ مـ وـجـدـتـ مـخـطـوـطـاتـ قـبـطـيـةـ كـتـبـتـ عـلـيـهـ تـعـلـيقـاتـ بـالـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ ،ـ مـاـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـهـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ كـانـتـ اللـغـةـ الـعـرـبـيـةـ مـعـرـفـاًـ بـهـ كـلـغـةـ سـائـدـةـ ،ـ وـأـنـهـ صـارـ هـاـ الـاستـعمالـ الـعـامـ .

٩ - يرى زكي شنودة أن اللغة القبطية بدأت تضمحل منذ القرن التاسع الميلادي . وما أن جاء القرن الثالث عشر حتى كانت قد دحرتها اللغة العربية وسادت عليها . ويرى أنها ظلت لغة تخطاب في الصعيد حتى القرن السابع عشر الميلادي . ويحدد القرن التاسع عشر باعتباره نهاية زمن الكلام بالقبطية .

أما نحن فيتلخص رأينا فيما يأتي :

١ - أنه لابد لكي يكون التحديد الزمني دقيقاً أن تميز بين ثلاثة أنواع من اللغة العربية :

( أ ) اللغة العربية باعتبارها لغة الدواوين أو اللغة الرسمية للدولة .

( ب ) اللغة العربية باعتبارها لغة الثقافة .

( ج ) اللغة العربية باعتبارها لغة التخاطب .

٢ - أنه لابد كذلك أن نعترف بتفاوت انتشار اللغة العربية من منطقة إلى منطقة تبعاً لقربها أو بعدها من مركز الحكم . ولسهولة الوصول إليها أو صعوبتها . ولدى فاعلية العوامل المختلفة التي سبقت الإشارة إليها ، ومن بينها التعریب والإسلام .

ومن أجل هذا فنحن نقترح التواريخ الآتية :

أولاً - القرن الثاني الهجري ( الثامن الميلادي ) حين أصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية للدولة ، بها تكتب الوثائق وتسجل المكاتب الرسمية وتدون الدواوين . وفي حالة استعمال لغة غير العربية كان لابد من قرئها بترجمتها العربية . ونشر في ذلك إلى الحقائق الآتية :

(أ) أن مجموعة وثائق البردي المصرية ، ومنها التي حققها Adolf Grohmann

وبدأت دار الكتب المصرية في نشرها منذ

عام ١٩٣٤ ، تقل فيها الوثائق المكتوبة بغير العربية أو ذات اللغتين . ومعظمها مكتوب باللغة العربية فقط . والوثائق تشمل فترة تبدأ من القرن الأول الهجري وتمتد لعدة قرون .

(ب) ما سبق أن قلناه عن الاجراءات التي اتخذتها الدولة منذ نهاية القرن الأول الهجري لتعريب الدواوين .

( ج ) في إحدى المنازعات التي شجرت عام ١٣٢ = ٧٥٠ م بين الملوكين واليعاقبة بشأن ملكية بعض الكنائس ، كتب البطريرك ميخائيل الأول إلى السلطات القائمة باللغة القبطية . ولكنه أرفق به ترجمة عربية عملاً بمشورة بعض المطارنة .

وليس معنى تعريب الدواوين أن اللغة العربية أصبحت لغة الثقافة أو لغة التخاطب . فكما أن اتخاذ اليونانية لغة الدواوين لم يجعلها لغة عامة قبل الفتح الإسلامي ، كذلك اتخاذ العربية في الدواوين لم يجعلها لغة عامة :

ثانياً : القرن الرابع المجري ( العاشر الميلادي ) حين أصبحت اللغة العربية لغة العلم والثقافة لكل المصريين على السواء ، من أسلم منهم ومن لم يسلم . ويفيد ذلك الحقائق الآتية :

( أ ) ظهور مؤلفات باللغة العربية لمؤلفين أقباط لم تعرف لهم مؤلفات بغير العربية وأذكر من بينهم :

١ - سعيد بن بطريق الذي كتب كتاباً منها « كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » و « كتاب البرهان » .

٢ - سويرس بن المفعع المسيحي اليعقوبي الذي شغل منصب أسقف في كنيسة أشمونين نحو عام ٩٨٥ م ، وكان رجلاً خصباً في كتاباته ومع ذلك فضل الكتابة باللغة العربية . وأهم ما كتبه مؤلفه المشهور « سير الآباء البطاركة » .

( ب ) ما ذكره سويرس بن المفعع في مقدمة كتابه السابق الإشارة إليه الذي كتبه في القرن الرابع المجري باللغة العربية ، من أنه ترجم مادة كتابه من اللغتين اليونانية والقبطية بعد أن وجد أقباط مصر في عصره لا يعرفون غير اللغة العربية . ونص عبارته : « فاستعنت بن أعلم استحقاقهم من الإخوة المسيحيين وسألتهم مساعدتي على نقل ما وجدناه منها ( يعني سير الآباء البطاركة ) بالقلم القبطي واليوناني إلى القلم

العربي الذى هو اليوم معروف عند أهل هذا الزمان بإقليم ديار مصر  
لعدم اللسان القبطى واليونانى من أكثرهم » .

( ج ) من الإابت أن الأقباط - فيما بعد - كتبوا تاريخهم بل ومقاليthem الدينية باللغة العربية . وكان من أشهر كتاب الطائفة أبو شاكر بطرس ابن الراهب ، ومكين ، وأبو الفضائل ... من كانوا يجهلون اللغة القبطية .

( د ) أن أوراق البردى الطبية القبطية التى نشرها Chassiant تستعمل بكثرة مصطلحات عربية كتبت بمحروف قبطية وأحياناً بمحروف عربية . لقد كتبها مؤلفون أقباط في القرنين التاسع والعشر الميلاديين استعملوا كلتا اللغتين القبطية والعربية ، ولكن بشكل يجعلنا نقول إنهم كانوا على علم باللغة العربية أكثر من علمهم باللغة القبطية . وقد كانوا كثيراً ما يفضلون استعمال المصطلح العربي على مقابلة اليونانى أو القبطى .

( ه ) كتب ميخائيل السورى عن جبرائيل الثانى ( من بطاركة العاقبة ، ١١٣١ - ١١٤٦ م ) يقول : إنه كان يارعاً في اللغة العربية وخطها . ولما رأى أن الشعب المصرى يتكلم اللغة العربية ويكتب بها نظراً لطول عهد السيادة العربية اهتم بترجمة التوراة والإنجيل إلى العربية ، وكذلك يقية كتب الطقوس الدينية الأخرى ليستطيع الشعب فهمها .

ثالثاً : القرن الخامس المجرى ( الحادى عشر الميلادى ) حيث أصبحت اللغة العربية لغة التخاطب العامة لكل المصريين على السواء ، بدليل ما يأتى :

( أ ) أنه في ذلك القرن كان عدد المسلمين قد زاد بشكل ملحوظ ، في حين تناقص عدد الأقباط تناقصاً حاداً بإسلام الكثيرين ، وهجرة عدد آخر إلى مناطق النفوذ البيزنطي .

( ب ) أن رجال الدين المسيحي كانوا يعظون منذ القرن الرابع المجري باللغة العربية لكي يفهمهم سامعوهم .

( ج ) أن أبا صالح الأرمني ذكر أنه في القرن السادس المجري كان المثقفون القبط فقط من بين رجال الكنيسة هم الذين يعرفون القبطية .

ومع ذلك فنحن نرى أن غلبة العامية العربية على القبطية ربما تأخر عن ذلك قليلاً أو كثيراً في بعض الأماكن الثانية من قرى الصعيد ولكن ذلك بأى حال لا يمكن أن يتجاوز قرناً أو قرنين آخرين ، ولا يمكن أن يكون له صفة العمومية . ولهذا فنحن نشك في أن ما قاله المقريزى ( القرن الخامس عشر ) : « نساء نصارى الصعيد وأولادهم لا يكادون يتكلمون إلا بالقبطية الصعيدية ولم يأبوا معرفة تامة باللغة الرومية » – ينطبق على عصره . ونرى أنه نقله عن مرجع قديم لا يتجاوز الفترة التي ذكرناها بدليل ما جاء في آخر النص من أن نساء الصعيد لها معرفة تامة باللغة اليونانية ( ١ ) ، إذ لا شك أن ذلك لم يكن في عصره بأى حال من الأحوال .

أما داخل الأديرة وبين الرهبان ، فنحن نتوقع أن يوجد بعض من كانوا يتكلمون القبطية لمدة أطول من ذلك . ويدرك المقريزى في خططه عن « دير موشه » أن « الأغلب على نصارى هذه الأديرة معرفة القبطي الصعيدى » . ولكن مرة أخرى لا يمكن أن يكون لذلك صفة العمومية وإلا ما احتاج المقريزى إلى النص عليه بالنسبة لهذا المكان ، وبدليل ما ذكره بعض المؤرخين من أنه « لم يغض على الفتاح قرن من الزمن حتى اضطر بعض الرهبان أن يلتجأوا إلى المترجمين لقراءة النصوص القبطية » .

وأما ما ذكره بعضهم عن وجود أناس يتكلمون اللغة القبطية حتى عصر

( ١ ) كان العرب يسمون اليونان بالروم واللغة اليونانية باللغة الرومية ( ج . صبيحى : قواعد اللغة المصرية القبطية ص ٦ ) .

متاخر فما هي إلا حالات فردية نادرة لا يبني عليها حكم ، وهي من ناحية أخرى ليست كافية للقول بحياة لغة ما . ولا يمكن اعتبار اللغة حية أن يتكلّمها فرد أو يهودان عن طريق التعلم ، أو أن تكون لغة ثانية يصطمعها بعض الناس عن عمدأو تعمسي . وما يدل على ندرة من بيـن يتكلـم القبطية بعد تلك الفترة أن الرجالـة يـلى مصر عـلى الرغم من تقيـبـهم الشـدـيدـ كان يـصعبـ عليهمـ مقابلـةـ أيـ شخصـ يـعـرفـ القـبطـيةـ وإـذـاـ حدـثـ وـوـجـدـ أحـدـهـمـ منـ يـتـكـلـمـهاـ كانـ يـزـعـمـ أنهـ آخرـ شخصـ يـتـحدـثـ بهاـ .

ولكن لا تعـنى هـزـامـ اللغةـ القـبطـيةـ المـتـالـيةـ أـمـامـ هـجـماتـ العـرـبـةـ أـنـهـاـ لمـ تـبـتـ وـجـوهـهاـ فيـ أيـ فـرـةـ منـ فـرـاتـ الـصـرـاعـ ،ـ فقدـ فـرـضـتـ نفسـهاـ لـفـرـةـ ماـ كـلـغـةـ حدـيثـ حتىـ عـلـىـ الـعـرـبـ أـنـفـسـهـمـ ،ـ وـتـلـعـمـهـاـ الـكـثـيـرـونـ مـنـهـمـ .ـ وـمـنـ عـرـفـواـ يـاجـادـهـمـ الـلـغـةـ القـبـطـيةـ الـقـاضـيـ خـيرـ بـنـ نـعـيمـ الـذـيـ كـانـ يـتـكـلـمـ لـخـصـومـ الـأـقبـاطـ وـيـسـتـمـعـ لـشـهـادـةـ شـهـودـهـمـ بـالـلـغـةـ القـبـطـيةـ .ـ

كـماـ لاـ تعـنىـ هـزـامـ اللغةـ القـبـطـيةـ زـوـداـ النـهـائـيـ مـنـ الـوـجـودـ ،ـ فـلـابـدـ أـنـهـاـ ظـلتـ تـلـعـمـ وـيـتـخـصـصـ فـيـهـاـ مـنـ يـرـيدـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ اـعـتـارـهـاـ لـغـةـ مـيـنةـ ،ـ كـالـلـغـةـ الـلـاتـيـنـيـةـ مـثـلاـ الـتـيـ تـعـدـ لـغـةـ مـيـنةـ وـمـعـ ذـلـكـ لـاـتـزالـ تـدـرـسـ حـتـىـ الـيـوـمـ .ـ وـلـذـاـ فـمـنـ الطـبـيعـيـ أـنـ يـوـجـدـ أـنـاسـ حـتـىـ الـآنـ يـعـرـفـونـ الـلـغـةـ القـبـطـيةـ ،ـ وـرـبـماـ يـقـدـرـونـ عـلـىـ الـكـلـامـ بـهـاـ ،ـ وـمـنـ الطـبـيعـيـ كـذـلـكـ أـنـ يـهـمـ رـجـالـ الـكـنـيـسـةـ الـقـبـطـيةـ بـوـجـهـ خـاصـ بـهـذـهـ الـلـغـةـ لـكـتـابـةـ كـثـيـرـ مـنـ تـرـاثـهـمـ الـدـينـيـ بـهـاـ وـإـنـ كـانـ Princeـ قدـ ذـكـرـ فـيـ كـتـابـهـ The Modern Pronunciation of Copticـ مـتـخـصـصـينـ فـيـ الـلـغـةـ القـبـطـيةـ ،ـ وـلـذـاـ فـهـمـ يـكـنـفـونـ بـتـرـديـدـ الصـلـوـاتـ كـالـبـيـغاـوـاتـ بـالـلـسـانـ القـبـطـيـ معـ تـرـجمـةـ هـاـ بـالـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ ،ـ كـذـلـكـ ظـلتـ الـلـغـةـ القـبـطـيةـ حـيـةـ حـيـاةـ جـزـئـيـةـ فـيـ شـكـلـ بـقـاياـ وـآثـارـ اـخـتـلـعـتـ بـالـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـأـصـبـحـتـ جـزـءـاـ لـاـ يـتـجـزـأـ مـنـهـاـ ،ـ كـماـ سـتـحـدـثـ فـيـهـاـ بـعـدـ .ـ

أـمـاـ إـلـىـ أـيـ مـدـىـ بـلـغـ هـاـ التـأـثيرـ ،ـ فـهـوـ مـاـ سـعـالـجـهـ –ـ معـ قـصـاياـ أـخـرىـ –ـ فـيـ الـبـابـ الثـانـيـ إـنـ شـاءـ اللـهـ :ـ

## الفصل الخامس

### النهضة الثقافية في مصر وأثرها على اللغة العربية

كانت مصر منذ اللحظة الأولى للفتح الإسلامي مركزاً كبيراً للثقافة العربية ، وجامعة إسلامية تغص بالعلماء والدارسين في مختلف التخصصات . وكانت في قرونها الإسلامية الأولى بمثابة منارة علمية تشع نورها على كل البلاد المجاورة ، ويؤمها الطلاب من الشرق والغرب للتزود من علمها الغزير والنهل من موردها العذب .

ويضيق بنا المقام لو أردنا أن نتحدث في هذا الفصل عن جهود مصر المتعددة في مجالات العلم المختلفة ، ولذا سنقتصر حديثنا على الفروع التي تخص الثقافة العربية والإسلامية والتي كان لها أثر قريب أو بعيد في النهوض بمستوى اللغة العربية في مصر والارتقاء بأساليب الكتابة والإنشاء ، كما كان لها أثر كبير في مساعدة الأجانب عن اللغة على تعلمها ، ومد يد العون لمن ي يريد إجادتها فن الكتابة ليتفتح أمامه سبيل العمل في الدواوين والمصالح الحكومية . وسوف نقصر حديثنا على المجهودات التي تمت حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، وهو القرن الذي اعتبرناه نقطة التحول في لغة الثقافة في مصر ، وقرن انتصار العربية على القبطية وصيرورتها لغة التأليف للمسلمين والأقباط على السواء .

أما في مجال الدراسات الإسلامية فقد كانت الريادة لأولئك العرب الذين صاحبوا جيش الفتح من الصحابة أو وفدوه بقليل ، واتخذوا مصر موطنًا لهم ، وعاشوا فيها فترة من الزمن ، طالت أو قصرت .

وقد كان من أشهر علماء القراءات الذين قصدوا مصر في وقت مبكر جداً الصحابة عبيد بن عمر الذي شغل منصب أول قارئ رسمي في مصر ، وعقبة بن الحارث الفهري . وتلاهم جيل من التابعين ، منهم عبد الرحمن ابن هرمز تلميذ أبي هريرة ، وعبد الله بن العباس الذي اختار الإسكندرية موطنًا له ، وتوفي عام ١١٧ = ٦٣٥ م .

أما رجال الحديث فكان في مقدمتهم الصحابي الشهير أبو هريرة راوي أكبر عدد من الأحاديث النبوية ، وقد جاء إلى مصر في عهد مسلمة بن مخلد (من ٤٧ = ٦٦٧ م إلى ٦٢ = ٦٨١ م ) ، وكذلك الصحابة عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، الذي جاء مع جيش الفتح إلى مصر ، وعبد الله ابن العباس ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبو ذر الغفارى ، وسعد بن أبي وقاص . وتلاهم جيل من التابعين خصوص السيوطي فصلاً لـتعداد إسهامهم في كتابه « حسن المعاشرة » .

ومن أشهر من اشتغلوا بالقانون الإسلامي وإصدار الفتوى الدينية سالم ابن عتر التنجيبي الذي أصبح كبير القضاة في مصر عام ٤٠ = ٦٦٠ م وتوفي عام ٧٥ = ٦٩٤ م ، ومنهم عبد الرحمن بن حجيرة الذي عين كبير القضاة في عهد عبد العزيز بن مروان (من ٦٥ = ٦٨٤ م إلى ٨٥ = ٧٠٤ م) واشتهر بأرائه السديدة وفتواه الموقعة في المسائل الفقهية المشكلة . وأخيراً نافع مفتي المدينة ، الذي أرساه عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليتولى منصب الإفتاء فيها .

ومع مطلع القرن الثاني الهجري بدأ أول جيل من المصريين يقتسمون الميدان ويسيئم بدوره في إقامة صرح الدراسات الإسلامية :

وأول قارئ مصرى داع صينه داخل البلاد وخارجها كان عثمان ابن سعيد الملقب : « ورش » الذي ولد عام ١١٠ = ٧٢٨ م ، وتلمنذ

على نافع بن عبد الرحمن أحد القراء السبعة . وتوفي ورش عام ١٩٧ م = ٨١٢ م وعاصره جمع آخر من القراء المحليين لم يشتهروا شهرته مثل سقلاط ابن شيبة ، وعبد الله بن وهب ، ومعلى بن دحية ، وأشهب بن عبد العزيز . ثم ظهر جيل ثالث ، وتضاعف عدد القراء بشكل ملحوظ . ولم يأت النصف الثاني من القرن الثالث الهجري حتى كانت كتب كثيرة قد ظهرت في مصر تتناول فن القراءات والتفسير القرآني . ومن أشهر من ألف في هذين الموضوعين العالم المصري الشهير أبو جعفر النحاس ( توفي سنة ٣٣٨ = ٩٥٠ م ) الذي ألف « إعراب القرآن » و « معانى القرآن » و « الناسخ والمتنسخ » و « الوقف والابتداء » . ومن حسن الحظ أنها وصلتنا جميعاً .

أما مجال التأليف في الحديث النبوى فكان أسبق من مجال التأليف في القراءات والتفسير ، إذ أن أقدم مجموع وصلنا هو ذلك الذي كتبه عبد الله بن وهب ( ولد عام ١٢٥ = ٧٤٢ م ) بعنوان « الجامع في الحديث ». وقد عثر على جزء كبير منه مؤخرًا في « إدفو » في صعيد مصر . وما هو جدير بالذكر كذلك أن أصحاب الكتب الستة من رجال الحديث قد زاروا مصر بعثاً عن مادة جديدة ، ومنهم من زارها أكثر من مرة ، مثل « النسائي » الذي غادرها لآخر مرة عام ٣٠٢ = ٩١٤ م .

وأول فقيه مصرى عرف كجهد كان يزيد بن أبي حبيب الذى شغل منصب مفتى مصر ، ثم تلاه عدد من الفقهاء المصريين الذين نافسوا أصحاب المدارس الفقهية الأربع المشهورة مثل ، الليث بن سعد ( ولد مصر عام ٩٤ = ٧١٢ م ) ، وتلا ذلك جيل كبير من الفقهاء الذين ناصروا مدرسة فقهية معينة ، كمدرسة مالك أو الشافعى أو أبي حنيفة .

وقد كانت شهرة مصر في مجال الدراسات الإسلامية معروفة في كل أنحاء العالم الإسلامي ، وكثيراً ما استشير علماؤها في مشكلات أثيرت خارج حدودها .

ومن ذلك ما رواه الكندي من أن الخليفة عبد الملك بن مروان كتب إلى والي مصر يسأله أن يرسل إليه برأى فقهاء مصر في عدة المطلقة ثلاثة . وقد جذبت هذه الشهرة علماء كثرين وفروا إلى مصر للاستفادة من علمها ، وهذا بدوره أفاد علماء مصر وربطهم بخواص مختلفة من التفكير . ومن بين من قصدوا مصر من كبار العلماء الإمام الشافعى ، والإمام الطبرى المؤرخ والمفسر المشهور (وصل مصر عام ٢٥٣ھ = ٨٦٧م) .

وأما في مجال الأدب فلم تتبغ مصر طوال حكم الأمويين ، وكل ما وصلنا عن هذه الفترة أبيات شعرية قليلة منسوبة إلى شعراء زائرين .

ولكن مع مطلع العصر العباسي بدأ الشعر المصري يحقق تقدماً ملحوظاً ، وظهر إلى جانب الشعراء الزائرين شعراء مصريون ، مثل سعيد بن عفیر (ولد في مصر عام ١٤٦ھ = ٧٦٣م) ، ومعلن الطائي . ومع قيام الدولة الطولونية حقق الأدب تقدماً آخر أخذ أشكالاً ثلاثة :

١ - الشعر : انتعش الشعر أيام حكم الطولونين نتيجة لتشجيع الحكام وإغدائهم الجوائز والهبات على الشعراء ، مما جذب الشعراء من الخارج من ناحية ، ونهض بالشعر المصري من ناحية أخرى . وعلى رأس الشعراء المصريين نجد الحسين بن عبد السلام المسمى بالحمل الأكبر (ولد سنة ١٧٠ وتوفي سنة ٢٥٨) ، والحسين المسمى بالحمل الأصغر والقاسم بن يحيى بن معاوية ومنصور بن إسماعيل بن عمر . ويقال إن أسماء الشعراء الذين كانوا يتردون على بلاط أحمد بن طولون كانت تملأ اثنى عشرة كراسة .

٢ - النثر : في هذه الفترة وجهت عناية أكبر « بدبیان الإنماء » وأصبح مطبع كل كاتب أن يشغل منصباً فيه . وقد أدى هذا بالكتاب أن يحاولوا إيجاده اللغة العربية والتلاعب بأساليبها ، كما أدى إلى ظهور مؤلفات تأخذ بيد الكتاب الناشئين ، وتبذل لهم النصيحة ، وترشدهم إلى كيفية

الارتفاع بأساليبهم . وأشهر كتاب ظهر في تلك الفترة كتاب « صناعة الكتاب » لأبي جعفر التحاس . والكتاب لم يصلنا ، ولكن من اقتباسات « صبح الأعشى » منه يمكننا أن نقول إنه يشتمل على نصائح عامة تفيد من يريد أن يحترف مهنة الكتابة ، ويحتوى قائمة بالألقاب الرسمية التي يجب أن يخاطب بها كل شخص بحسب منصبه ، وبين مقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار من الأقلام ، ويعطى نماذج مختلفة لبدايات الرسائل و نهاياتها ، وقواعد منصورة للهجاء ، ويعرف بوظائف الدولة و اختصاصات كل منها ، ويشرح المصطلحات المستعملة في الرسائل الديوانية . وهو إلى جانب ذلك يقدم نماذج للرسائل الديوانية والإخوانية على مختلف العصور . وهذا قالب للرسالة الديوانية كما اقترحها أبو جعفر التحاس نقله عن « صبح الأعشى » :

« وقد اختلف في تقديم الاسم والكنية واللقب . والذى رتبه أبو جعفر التحاس في صناعة الكتاب تقديم الاسم على الكنية وتقديم الكنية على اللقب ، مثل أن يقال ( من عبد الله فلان أبى فلان الإمام الفلافي أمير المؤمنين ) ». ثم قال : وهذه المكابحة هي التي اصطلاح عليها في الأمور السلطانية التي تنشأ بها الكتب من الدواوين :: . وترتيب المكابحة على ما ذكره في صناعة الكتاب أن يكتب : ( من عبد الله فلان أبى فلان الإمام الفلافي أمير المؤمنين ، سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين بحمد الله إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله ) ثم يفصل بياض يسر ويكتب : ( أما بعد فإن كذا وكذا ) ثم يأن على المعنى . فإذا فرغ من ذلك وأراد أن يأمر بأمر يفصل بياض يسر ثم يكتب : ( وقد أمر أمير المؤمنين بكذا ورأى أن يكتب إليك بكذا ) فيؤمر بامتثال ما أمر به والعمل بحسبه ثم يفصل بياض ويكتب : ( فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين واعمل به إن شاء الله تعالى ، وكتب فلان ابن فلان ) باسم الوزير واسم أبيه ( يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ) .

وقد يكتب في أو آخر المكاتبة بعد استيفاء المقصد (هذه مناجاة أمير المؤمنين لـث) أو (هذه مفاوضة أمير المؤمنين لـث).

وما يدل على أهمية كتاب النحاس واحتلاله مكاناً فريداً بين أفراده أننا نجد القلقشندي في كتابه «صبح الأعشى» يعتمد في الفصول المتباينة على هذا الكتاب إلى درجة كبيرة . وبلغ اقتباساته منه نحو المائة . وهناك صفحات كاملة من «صبح الأعشى» مأخوذة بنصها من كتاب النحاس .

ومما هو جدير بالذكر كذلك أنه ظهر في ذلك الوقت في مصر لأول مرة مجموعة من القصص القصيرة كتبها مصرى صميم هو «ابن الديبة» ، وعرفت هذه المجموعة باسم «المكافأة» . وقد ولد هذا المؤلف في مصر عام ٣٤٠ هـ = ٩٤٣ م واسمه أحمد بن يوسف .

٣ الدراسة الأدبية : وقد ظهر في هذه الفترة مجموعة من الدراسات الأدبية والنقدية ومن بينها كتاب «النفائض» لأبي العباس أحمد بن ولاد (توفي عام ٣٣٢ هـ = ٩٤٣ م) و «أخبار الشعراء» و «شرح المعلقات» و «معانى الشعر» و «شرح الحمامة» . وجميعها لأبي جعفر النحاس .

فإذا انتقلنا إلى ميدان الدراسات اللغوية رأينا نشاطاً لا يقل عن نظيره في سائر أنحاء العالم الإسلامي : وإن بدأ متأخراً بعض الشيء . وأول اسم يطالعنا لشخصية لغوية هامة تقد إلى مصر هو اسم عبد الرحمن بن هرمز تلميذ أبي الأسود الدؤلي واضع علم النحو - في بعض الروايات . وقد أقام ابن هرمز بالإسكندرية إلى أن توفي عام ١١٧ هـ .

ومع مطلع القرن الثالث المجرى غدت مصر باللغويين والناحاء، ونشطت فيها الحركة اللغوية إلى حد كبير . وعلى رأس اللغويين الأجانب الذين وفدوا إليها نجد أسماء مثل :

١ - محمد بن يحيى اليزيدي الذي جاء مع المعتصم إلى مصر (عام

٢١٤ = م ٨٢٩ ) ومات بها تاركاً عدداً كتب منها: « النواذر » و « المقصور والمددود » و « مختصر التحوّل » و « النقط والشكل » .

٢ - أبو على أحمد بن جعفر الدنوي الذي توفي في مصر عام ٢٨٩ = م ٩٠٢ . وقد كتب خلال إقامته بمصر كتاباً في التحوّل سماه « المذهب » .

٣ - علي بن سليمان الأخفش الذي جاء إلى مصر أكثر من مرة إحداها عام ٢٨٧ = م ٩٠٠ وغادرها لآخر مرة عام ٣٠٦ = م ٩١٨ ومات ببغداد عام ٣١٥ = م ٩٢٧ . ومن مؤلفاته كتاب « الثننة والجمع » ، وكتاب « شرح سيبويه » في خمسة مجلدات .

ومنذ أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع أخذت الدراسات اللغوية المصرية تشق طريقها بنفسها ، وتقف على قدميها وحدها ، وتنافس نظيراتها فيسائر أنحاء العالم الإسلامي . وظهر لأول مرة مؤلفون مصريون متقدموون ، انضمت جهودهم إلى جهود الوفدين من البلاد الأخرى فخلقت حركة لغوية نشيطة أثارت إليها انتباه العالم الإسلامي كله . ومن أشهر الوفدين في تلك الفترة أبو بكر الدنوي وأبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة والأخوان الحسن والحسين بن الوليد . أما اللغويون المصريون فكانوا كثيرين ومتفاوتين في الشهرة وفي الإنتاج العلمي ، ولكن كان على رأسهم ثلاثة هم : كراع الجل واسمه علي بن الحسن الهنائي (توفي ٣١٠ = م ٩٢٢) . وابن ولاد واسمه أبو العباس أحمد بن محمد بن ولاد (توفي ٣٣٢ = م ٩٤٣) والنحاس واسمه أبو جعفر أحمد بن محمد بن إيماعيل (توفي ٣٣٨ = م ٩٥٠) .

أما كراع فقد ترك آثاراً لغوية كثيرة أشهرها « المنجد » الذي يعالج مشكلات المترافق اللفظي ويعرض كثيراً من ألفاظه ، و « المنتخب » الذي يحوى تنقاً مختلفة لمباحث علم اللغة ومنهما نسخ خطوظة متعددة في دار الكتب المصرية

وغيرها . كما بث كراع في ثنايا كتبه آراء ناضجة في كثير من مشكلات علم اللغة وأصوله .

وأما ابن ولاد فقد ترك آثاراً منها : « المصور والمدود » الذي يعالج مشكلات الكلمات المقصورة أو المدودة ، ويدرك طريقة هجائها ، ويحصر مفراداتها . وقد طبع الكتاب طبعتين حتى الآن . ومن آثاره « الانتصار لسيبويه على المبرد » الذي اتخذ جانب الدفاع عن سيبويه في مسائل الخلاف بينه وبين المبرد ، وتوجد منه نسخ مخطوطة في دار الكتب المصرية وغيرها . وكان لابن ولاد آراء تقدمية في كيفية تعريف القواعد وفي أصول النحو تعد حتى الآن من أنسج ما قبل في الموضوع .

وأما أبو جعفر النحاس فكان نسيج وحده . ولم يترك باباً من أبواب الدراسات الإسلامية إلا طرقه وألف فيه . كتب في القراءات ، وفي التفسير والحديث ، وفي الناسخ والمنسوخ ، وفي النحو وفقه اللغة ، وفي الأدب ودواوين المعرف ، وكان في كل ما يكتب موفقاً . وما تركه في مجال الدراسات اللغوية : « إعراب القرآن » و « المقنع في الخلاف بين البصريين والковيين » و « الكاف في النحو » و « شرح أبيات سيبويه » و « شرح كتاب سيبويه » و « كتاب الاشتقاد » و « خلق الإنسان » و « التفاحة في النحو » . والكتاب الأخير ذو أهمية كبيرة – في نظرنا – بوجه خاص ، لأنه وضع تلبية لحاجة الناشئة ، وكتب في أسلوب ميسر وبطريقة أقل ما توصف به أنها سهلة مبسطة . والكتاب يلخص النحو كله في بعض ورقات ، ويقدم للدارس المبتدئ عصارة القواعد التحويية العملية ، منحاً جانباً كلّاً مالاً يفيد في تقويم النطق وتصحيح البيان ، وكل الخلافات اللفظية والمناقشات الفلسفية التي تمتليء بها كتب السابقين . وأغلب ظننا أنه كتب بهدف تقرير نحو اللغة العربية للأجانب وبقصد مساعدتهم في دراسته ، ولذا اختار مؤلفه له اسمًا جذاباً هو « التفاحة » . ويعد الكتاب ثورة على الطريقة التقليدية في دراسة النحو العربي ، ولعله أول

كتاب يصلنا وهو يحوى تطبيقاً فعلياً للمنهج الوصفي في دراسة اللغة . ومن أمثلة ذلك قوله :

١ - الفاعل مرفوع أبداً تقدم أو تأخر . وهذا يعني أن « محمد » في الجملة « قام محمد » أو « محمد قام » تعرّب فاعلاً . وهذا يخالف التحليل التقليدي للجملة الثانية الذي يعتبر الفاعل ضميراً مستترأً تقديره « هو » ويعرّب « محمد » مبتدأً والجملة من الفعل والفاعل بعده في محل رفع خبر ذلك المبتدأ .

٢ - عد أبو جعفر النحاس من بين حروف الجر الكلمات « أعلى » و « أسفل » و « خلف » و « قدام » و « وراء » و « أمام » و « فوق » وأشباهها . وهذا خروج على النحو التقليدي الذي يعتبرها كلها ظروفاً . وقد كان النحاس موقفاً في فكرته هذه وطرحه جانباً الرأي التقليدي ووصوله إلى هذا الرأي الجديد الذي ينظر إلى الأثر الإعرابي فحسب . وأى فرق بين قولنا : « الكوب على المائدة » و « الكوب فوق المائدة » ؟ لا فرق بينهما عندنا وعند النحاس وإن كان القدماء قد اعتبروا « على » حرفاً جر ، وما بعدها مجروراً بها ، واعتبروا « فوق » ظرفاً وما بعدها مضافاً إليه .

ولم يقف دور مصر في تلك الفترة عند التأليف والتنقيب . وإنما تجاوز ذلك إلى تمثيل الثقافة الإسلامية وهضمها ثم إخراجها في صورة مبتكرة . وقد كانت مصر بمثابة القنطرة التي عبرت عليها الثقافة العربية من الشرق إلى الغرب ، وكانت ماتني للدراسين من شئ البقاع ، وجامعة إسلامية يقصدها الطلاب من مختلف أنحاء العالم الإسلامي . ولم يكتب للمؤلفات المصرية الرواج داخل مصر وحدها ، وإنما في المغرب والأندلس كذلك . وحتى نهاية القرن الرابع المجري كانت بلاد المغرب والأندلس تعتمد اعتماداً كلياً في دراساتها العربية الإسلامية على مصر . ولم تنضج تلك الدراسات هناك إلا على يد المعمورين

الذين زاروا مصر ودرسوها فيها ثم عادوا إلى أوطنهم يحملون الزاد ويدرسون المؤلفات المختلفة التي تلقوها في مصر ، ومن بينها المؤلفات المصرية . وقد وجدنا أن كل مؤلفات ابن ولادو ثلاثة عشر مؤلفاً من بين مؤلفات أبي جعفر النحاس قد دخلت الأندلس في وقت مبكر جداً قد يكون في حياة المؤلفين أو بعد وفاتهما بقليل . كما وجدنا مؤلفات كراع الملل منتشرة جداً في بلاد المغرب وخاصة . ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى الحقائق التالية :

- ١ - من بين تلاميذ النحاس - الذين استطعت التوصل إليهم - وعددهم أربعة عشر تلميذاً وجدت ثلاثة مصريين فقط . أما الباقيون فمن بلاد مختلفة .
  - ٢ - من بين الأسماء الخمسة الأولى في كتاب « ابن الفرضي » تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس وجدت ثلاثة مصريين فقط وخمسين اسمها على الأقل لأناس درسوا في مصر .
  - ٣ - هناك اقتباسات كثيرة من كتب المصريين في الكتب المتأخرة ، وأخص بالذكر ما يأْتِي :
- (أ) في الجزأين الأول والثاني من كتاب « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي يوجد نحو ستين اقتباساً من أبي جعفر النحاس .
- (ب) في « صبح الأعشى » للقلقشندى نجد أكثر من مائة اقتباس من « صناعة الكتاب » للنحاس .
- (ج) في « لسان العرب » نجد أكثر من سبعمائة اقتباس من مؤلفات كراع الملل .
- وقد كانت مراكز الثقافة في مصر متعددة ومتعددة ، وكان كل مركز منها يقوم بدوره الخاص في نشر الثقافة الإسلامية ، وكثير منها كان مشمولاً برعاية الحكام وذوى الراء . وأشهر تلك المراكز :

١ - المسجد : وقد كان أهم مركز ثقافي في تلك الفترة . وكانت أشهر المساجد في مصر خلال تلك الفترة هي : جامع عمرو بن العاص ، وجامع أحمد ابن طولون ، ثم الجامع الأزهر . في جامع عمرو كانت تلقى دروس دينية منذ عام ٣٨٥ = م . وفيه كان الإمام الشافعى يلقى دروسه ومحاضراته ، وكذلك الإمام الطبرى . وفي عهد الإخشيدين ( من سنة ٩٣٤ = م إلى ٩٦٨ = م ) كان فيه ثلاثة وثلاثون حلقة خاصة بالدروس الفقهية . وأما جامع ابن طولون فقد انتقل إليه الطبرى بعد بنائه ، وكان أحمد بن طولون يجري عليه الأوقاف ويخصص لعلمائه المرتبات . وبعد تشييد الجامع الأزهر انتقل النشاط الديني إليه ، وأصبح مركزاً للدعابة الفاطمية . وليس أدل على اتساع النشاط العلمي في ذلك الوقت من أن المقدسي الذى زار مصر في القرن الرابع الهجرى سجل ملاحظة خطيرة فحواها أنه وجد مساجد مصر مزدحمة بالطلاب بشكل لم يره في أي بلد إسلامي آخر . وذكر أنه عدد حلقات أحد هذه المساجد فوجدها تبلغ مائة وعشرين حلقة .

٢ - ( صالونات ) الحكماء : كذلك قامت ( صالونات ) الحكماء وذوى الرأي بدور كبير في نشر الثقافة الإسلامية وتشجيع البحث العلمي ، فكانت تعقد فيها اجتماعات دورية وحلقات علم مستمرة . وكان من العادة أن يحضر الحكماء والوجهاء هذه الاجتماعات ويشاركون في المناقشة ويشبوا المتفوق فيها . وقد بدأت شهرة هذه المجالس منذ قيام الدولة الطولونية وتضاعفت شهرتها في عهد الفاطميين . ونشير بوجه خاص إلى الاجتماعات الدورية التي كانت تعقد في ( صالون ) الوزير « ابن كلام » والتي كان يحضرها القضاة والفقهاء والشعراء والنحاة والحدثون وكل ذوى الحيبية في المجتمع . وليس هذا فحسب ، بل شاركت مصر في الاجتماعات العلمية والمؤتمرات التي كانت تعقد في الخارج . ومن ذلك ما حدث عام ٣٢٦ = م حين انعقد مؤتمر علمي في بغداد بإشراف الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات ، وأرسلت مصر ممثلها الرسمي لحضوره .

٣ - دور الكتب : وقد انتشرت دور الكتب الخاصة خلال تلك الفترة وتنافس الأغنياء والعلماء في افتتاح نوادر المخطوطات . وبناء على ما ذكر ابن خلگان كانت مكتبة العزيز الفاطمي حافلة لدرجة أنه احتاج إلى تعيين « أمين » ليدبرها وينظمها . ويخبرنا المقرizi أن هذه المكتبة كانت تحوى ثلاثين نسخة من كتاب « العين » أول معجم عربي ، بينما نسخة بخط المؤلف نفسه ، كما كان يوجد بها عشرون نسخة من تاريخ الطبرى ، ومائة نسخة من معجم الجمهرة لابن دريد .

٤ - محلات الوراقة وبيع الكتب : ففضلا عن دورهافي نسخ المخطوطات ويعها كانت مركزاً يلتقي فيه الدارسون ويتجاذبون الحديث ويدبرون المناقشة . وكانت هذه المحلات تتركز في سوق قرب جامع عمرو بن العاص وتغص بالباحثين ، وبخاصة في زمن الطولونيين والإخشيديين .



## البابُ الثانِي

أنصاف الملغوية لعرب مصر

---



## ٧ مُتَصَّلِّيَة

سنحاول في هذا الباب أن نقدم وصفاً للغة العربية التي كانت مصر في الفترة موضوع الدراسة ، وأن نحدد العوامل التي تحكمت في تشكيلها ، وتدخلت لتصبغها صبغة معينة تميزها عن سائر اللغات .

وقد وجدنا أن هناك عاملين يعدان من أهم العوامل التي تستحق الدراسة في هذا المخصوص ، بقصد الكشف عن مدى أثرهما في عربية مصر ، وهما :

١ - اللغة القبطية ( وإلى حد ما اليونانية ) .

٢ - اللهجات العربية .

كما وجدنا أن هناك عوامل ثانوية أثرت في عربية مصر ، منها عامل الميل نحو السهولة وتوفير الجهد ، وعامل الالامبالاة ، وعامل الافتراض من لغات أخرى غير القبطية واليونانية ، مثل اللاتينية والفارسية والتركية . وستتناول هذه العوامل في ثلاثة فصول على التوالي .

وقد رأينا قبل أن نعالج هذه العوامل بالترتيب المذكور أن نبدأ بدراسة موجزة في فصلين ، نتناول في أولهما الصعوبات التي تعرّض مثل هذه الدراسة اللغوية ، ونصنف في ثانيهما المادة التي اعتمدنا عليها في تحليلنا اللغوي .

وهكذا استقر إخراج هذا الباب في خمسة فصول .

# الفصل الأول

## صعوبات على الطريق

الحقيقة التي يواجهها أى دارس للهجات العربية القديمة خارج الحزيرة العربية — ولحد ما داخلها — هي قلة المادة اللغوية من ناحية ، وانعدام الدراسة اللغوية المنهجية لها من ناحية أخرى . وهنالك حقيقة أخرى تشمل اللهجات العربية القديمة جميعها ، وهي اختلاط مادتها بعضها ببعض ، وصعوبة عزل مادة أى واحدة منها عن غيرها ، وهي صعوبة قد تصل أحياناً إلى حد الاستحالة والتعذر . وحتى اللغويون المخلدون ، الذين كان يتضرر منهم أن يسجلوا ما كان يدور في بيئتهم من تعبيرات خاصة ، وأن يقوموا بدراسة موضوعية للمستويات اللغوية المستعملة في أوطنائهم ، سواء كانت على المستوى الأدبي ، أو مستوى الحديث العادي ، أو بين بين — حتى هؤلاء لم يلقو بالا لهذا الجانب ، ولم يحاولوا أن يفهموا معجمو داتهم فيه . كذلك لم يعن أحد منهم بناحية التطور في دلالة الألفاظ ، أو نطقها ، فلم يبين أى من لغوي القرن الخامس مثلاً المعنى الذى يفهمه معاصروه من لفظ جمعه زميل له في القرن الثالث مثلاً إلا في النادر . كذلك لم يعن أحد منهم بتطور نطق الألفاظ في عصره على الرغم مما نجده في كتاب سيبويه وفي البيان والتبيين للجاحظ من إشارات مفيدة في هذا الموضوع ، ومن تسجيل لمحاذج من التطورات التي تمس الأصوات وطريقة نطقها (١) . والسر في عدم العناية بهذا أنهم جميعاً كانوا ينظرون إلى هذا

---

(١) انظر الكتاب ( ط بولاق ) ٢ / ٤٠٤ وما بعدها ، والبيان والتبيين —

التطور على أنه نوع من اللحن أو المولد ، أو شيء من سقط المناع الذي لا يصبح تسجيله ، ولا يجوز إعارةه إلى انتهاه . ولذلك نجدهم جميعاً قد وجهوا كل اهتمامهم إلى جمع المادة اللغوية القديمة التي سموها بالفصحي ، والتي وضعوا لها شروطاً ومواصفات تشمل الزمان والمكان ، وتسابقو في تنظيم هذه المادة ، وعرضها بطرق مختلفة .

ويبرز من بين المحاولات التي بذلت لتسجيل بعض جوانب التطور اللغوي نوعان من البحوث : أولهما : كتب اللحن والخطأ والمولد والتصحيف والتحريف . وثانيهما : كتب العرب والدخلين . وكتب اللحن - وما لف لفها - عبارة عن رسائل صغيرة ألفت على مر العصور وفي مختلف الأصقاع التي تتكلم العربية ، يقصد علاج داء استشرى في لغة العرب ، وهو داء اللحن والخطأ في الكلام . وقد بدأ التأليف فيه في عصر مبكر جداً، ربما منذ القرن الثاني المجري ، وشهدت بداية القرن الثالث طائفة كبيرة من كتب هذا النوع . ويدخل في ذلك الباب تلك الفصول التي اشتملت عليها كتب مثل « إصلاح المنطق » لابن السكيت ، و« أدب الكاتب » لابن قتيبة ، و« الغريب المصنف » لأنبي عبد ، والتي تعالج مظاهر التغيرات التي حدثت في بعض الكلمات ، سواء

= ص ١٥ ، ١٨ - ٢٢ وبخاصة قوله « وأهل الأنصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر » (ص ١٨) ، وكذلك باب « ذكر الحروف التي تدخلها اللغة وما يحضرني منها » (ص ٣٤ وما بعدها) . وانظر ص ٧٠ - ٧٤ وبخاصة قوله « لا ترى أن السندي إذا جلب كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زايا ، ولو أقام في عليا تميم وفي سقلى قيس وبين عجز هوازن خرين عاماً . وكذلك البطى القبح .. يجعل الرأى سينا ، فإذا أراد أن يقول زورق قال سورق ، ويحمل العين هنزة .. » (ص ٧٠) ، ومقعدة ابن خلدون ص ٢٤ وما بعدها « ففصل في لغات أهل الأنصار » وص ٦٤٩ وما بعدها « فصل في أن لغة العرب لهذا المعهد لغة مقلة معايرة لغة مصر وحمير » وكذلك الفصول التالية لهذا الفصل

من ناحية اللفظ أو من ناحية الدلالة . أما كتب العرب والدخل في كتب أشهرها :  
كتاب الجوالين ، ويدخل فيها البحوث المتأثرة التي نجدها في كتب النحو واللغة :

ولكتنا - مع الأسف - لا نظر لصر بشهي ذي بال في أي من هذين  
الحالين إبان فترتنا المبكرة . أما عن الجانب الأول فنخن نجد كتاباً أفتلت  
أخطاء قطر عينه أو شعب عربي بذاته ، ومن ذلك « لحن العامة » للزيبيدي  
(ت ٣٧٩ھ) ، الذي تناول فيه لحن عاممة الأندلس ، و « تنقيف اللسان  
وتلقيح الحنان » لابن خلف الصقل (ت ٥٠١ھ) في لحن عاممة صقلية ،  
و « تقويم اللسان » لابن الجوزي (ت ٥٩٧ھ) في لحن عاممة بغداد . ومع ذلك  
لا نجد كتاباً يظهر في البيئة المصرية يعالج بعض مظاهر التغيير الذي حدث في  
لغة مصر سواء اعتبر هذا تطوراً طبيعياً ، أو رمى بالخطأ . وحتى لو وجد شيء  
من هذا النوع ، فلم يكن ليفيدنا كثيراً ، لأن مؤلفي هذا العصر اعتادوا أن  
ينقلوا لاحقهم من سابقهم بدون تبنيه على ذلك . فما يتعرض له الواحد منهم  
في كتابه ربما لا يمثل بيته أدنى تمثيل ، وإنما يمثل بيات آخر لم يتم بالتنبيه  
عليها . وضرر مثل هذا النوع من البحوث المختلفة أكثر من نفعه . وأما عن  
الجانب الثاني فكان الاتجاه نحو دراسة النقل والتعریب من اللغة الفارسية هو  
الاتجاه الغالب ، ولا نجد إشارة إلى النقل أو التعریب من القبطية ، وبين أيدينا  
كتاب « العرب » للجوالي يشهد بذلك . نعم هناك إشارات سريعة إلى التعریب  
من لغات أخرى متعددة ، إلا أن معظم هذه الإشارات ألتى القول فيها على  
عواهنه ، وصدر عن غير ذي ثقة ، وعن أناس لا خبرة لهم باللغات التي  
يتحدثون عنها ، ولذا لا يمكن الاعتماد على أقوالهم كما سبق أن بيننا بالنسبة  
للسيوطى في كتابه « المتوكلى فيما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية ...  
الخ ». كذلك من الأمثلة المؤسفة للعمل المرتجل ذلك البحث الذي كتبه حمزة  
فتح الله بعنوان « رسالة الكلمات الغير العربية (كذا) الواقعة في القرآن

الكريم » ، والذى تقصه دقة البحث العلمي وتحبصه . ومن الأمثلة الى ذكرها هذا المؤلف للكلمات المستعارة من اللغة القبطية قوله : الأولى والآخرة : القبط يسمون الآخرة الأولى ، والأولى الآخرة .  
 Sidney : زوجها بالقبطية .

بطائتها : ظواهرها بالقبطية .  
 وهكذا ...

وقد حاولت أن أغير على آثار ذات بال في مؤلفات اللغويين المصريين المبكرین في أى من هذين الحالين ، أو في مجال تحديد مراكز القبائل العربية التي استوطنت مصر ، وتسجيل لهجاتها ، وخصائص كل لهجة ، دون جدوی . وكل ما وجدته تصریحات مقتضبة متباينة هنا وهناك ، لا تکاد تهتدی إليها وسط زحام الأبحاث اللغوية الأخرى . فمن ذلك ما ذكره أبو جعفر التحاش وهو كل ما عثرت له عليه بعد البحث والتنقیب الشدیدین – من أن :

١ - المصريين يستعملون كلمة « إسباطة » (التي تحولت الآن إلى سباطة )  
يعنى الكباش أو العدق أو القنو (١) .

٢ - المصريين يستعملون كلمة « الحسر » بدلاً من المسناة (٢) .

ولكنه لم يذكر لنا في أى المستويات الكلامية تستعمل هاتان الكلمتان ؟  
وهل هما أصل أجنبى أو لا ؟

٣ - وروى القلقشندي عن أبي جعفر التحاش أنه قال في كتابه « صناعة الكتاب » إن « الديوان » اسم للموضع الذي يجلس فيه الكتاب وإن به بكسر الدال وإن فتحها خطأ . وحيث لم يكن هناك دلالة صريحة على أن هذا الخطأ كان شائعاً في مصر ، فمن المحتمل أن يكون من الأخطاء العامة ، أو غير الخاصة

(١) شرح ملقة امرئ القيس ( تحقيق فرنس نكل ١٨٧٦ ) ص ٢٩ .

(٢) إعراب القرآن ( معهد المخطوطات ١٥ تفسير ) ص ١٨٠ .

عصر ، وهو ما نرجحه بدليل ورود هذه الكلمة في غيره من الكتب التي  
 غالحت أخطاء العامة أو الخاصة .

٤ - كذلك روى القلقشندي - عن نفس المصدر - أن الكتاب في عصر  
 النحاس كانوا - لصعوبة باب العدد عليهم - يعيرون من أعراب الحساب .  
 ومعنى هذا كثرة الخطأ في هذا الباب . وهي ظاهرة ملاحظة في كثير من  
 النصوص المصرية التي عثرنا عليها لذلك العصر . ولكن - مرة أخرى -  
 هي ظاهرة عامة ، وليس خاصة عصر .

ويبدو أنه كان في عصر النحاس - وربما من قبله - حركة قوية بين  
 المستعربين أو غير العرب ضد اللغة العربية ومن يتكلمونها أو يتعلمونها .  
 ويبدو أن كثيراً من أناس ذلك العصر ضاقوا بقيود اللغة وقواعدها ، وعجزوا  
 عن إتقانها وتذليل صعوباتها ، فرأوا أن مهاجمة اللغة أيسر من تعلمها ،  
 والليل منها أسهل من السيطرة عليها . وقد تكفل النحاس بنقل دعوى هؤلاء  
 الشعوبية ، وابن رى للرد عليها وتفنيدها فقال : « وقد صار أكثر الناس  
 يطعن على متعلمى العربية جهلاً وتعدياً حتى لا يحتجون بما يزعمون أن القاسم  
 ابن محيرة قال : التحو أوله شغل وآخره بغي . قال : وهذا كلام لا معنى له  
 لأن أول الفقه شغل ، وأول الحساب شغل ، وكذا أوائل العلوم . أفترى  
 الناس تاركين العلوم من أجل أن أو لها شغل ؟ قال : وأما قوله : وآخره بغي ،  
 إن كان يريد به أن صاحب التحو إذا حذقه صار فيه زهو ، واستحق من  
 يلحن ، فهذا موجود في غيره من العلوم من الفقه وغيره ، في بعض الناس  
 وإن كان مكروراً . وإن كان يريد بالبعي التجاوز فيما لا يحل فهذا كلام محال ،  
 فإن التحو إنما هو العلم باللغة التي نزل بها القرآن ، وهي لغة النبي صلى الله عليه  
 وسلم وكلام أهل الحلة وكلام أهل السماء . ثم قال بعد كلام طويل : وقد كان  
 الكتاب فيما مضى أرغم الناس في علم التحو ، وأكثرهم تعظيمها للعلماء ،  
 حتى دخل فيها من لا يستحق هذا الاسم ، فصعب عليه باب العدد ، فعايبوا

من أعراب الحساب . وبعدها عليهم معرفة الهمزة التي يتضمن وينفتح ما قبلها ، أو تختلف حركتها وحركتها ما قبلها فيكتبون يقرؤه بزيادة ألف لا معنى لها (١) ... . والذى بهمنا من هذا ما يسجّله من وجود ضيق بين المتعلمين بقواعد اللغة ، وصعوبة أبواب التحو ، وما يستتبعه ذلك من محاولات لكسر تلك القيود ، والتحفظ من قسوتها . وهو ما حدث بالفعل وكان سبباً من أهم الأسباب التي غيرت في شكل اللغة .

وقد وجد لکراع ( على بن الحسن المتأخر المصري ) إشارات خاطفة إلى بعض تعبيرات مصرية ، وإن كانت كلها عربية فصيحة ، أو عربية محركة لا أثر للأجنبي فيها . ولكن لم يلتزم کراع أن يبين لنا في أي مستوى كلامي كانت تشيع هذه العبارات ، ولم يوضح صراحة ما إذا كانت هذه من اللهجات المحلية أو اللغة المشتركة . ومن ذلك قوله :

- ١ - ويقال للذى يوزن به الصنجة وال العامة تقول السنجة .
- ٢ - الخطاف العصفور الأسود الذى تدعوه العامة عصفور الحنة .
- ٣ - يقال رف الحاجب اختلنج .
- ٤ - يقال فش القفل إذا فتحه بغير مفتاح .
- ٥ - يقال فحم الصبى يفحى فحوماً وفحاماً إذا بكى حتى ينقطع صوته . (٢)

وهناك صعوبة أخرى تواجه من يريد بيان الخصائص اللغوية لغربية مصر في تلك الفترة السحرية ، وهى أن كل المادة التي بين أيدينا وصلتنا عن طريق الكتابة . ومن المعروف أن الرموز المكتوبة لا تمثل إلا قدرأ ضئيلاً من اللغة .

(١) انظر صبح الأعشى ١ / ١٧١

(٢) انظر - على سبيل المثال - المتوجه في اللغة لکراع ( خطوط ) صفحات ١٣٦ و ١٣٧ .

فهي تخفي أكثر مما تظهر وبخاصة حين تستعمل الرموز الكتابية العادبة لا الرموز الصوتية الدقيقة بعض الشيء . ولم يشذ عن ذلك إلا بعض نصوص قليلة عثر عليها في دير القديس مكاريوس حيث كتبت بمحروف قبطية تمثل الصوت المنطوق إلى حد كبير (١) .

و صعوبة أخرى هي عدم استطاعة القيام بمسح جغرافي لمناطق اللهجات في مصر ، و فصل اللهجات الإقليمية بعضها عن بعض ، أو عمل ما يمكن أن يسمى بالأطلس اللغوي ، نظراً لاختلاط المادة اللغوية التي وصلتنا من ناحية، و اندثار معظمها من ناحية أخرى ، و عدم إمكان تسجيل مادة جديدة لطول العهد بفتره دراستنا ، و التطور الكبير الذي يتوقع حدوثه بعد ذلك . ولهذا لم يكن هناك مفر من أن نعالج المادة اللغوية التي جمعناها باعتبارها وحدة واحدة ولا نشير إلى الخصائص الخلية أو الإقليمية إلا إذا كان في يدنا الدليل على ذلك .

وهناك صعوبة أخرى هي أن الدراسات القديمة جميعها قد ألقت ثقلها في جانب اللفظ المفرد و بناء الكلمة ، ولم يكن منها ما اهتم بنظام الجملة و جانب النحو والإعراب ولذلك يندر أن تجد إشارة إلى تغيير من هذا النوع .

---

(١) انظر :

Fragments of an Arabic M.S. in Coptic Script, ed. by G. Sobhy.

والملحق رقم ١ للجزء الأول من كتاب :

New Coptic Texts from the Monastery of Saint Macarius.

## الفصل الثاني

### مادة التحليل اللغوي

تتخدّ مادة البحث التي اعتمدنا عليها في دراستنا اللغوية صوراً متعددة ، كما أن تارิกها محدد ، و معروف وقتها الذي كتبت فيه بدقة .

وعلى الرغم من أننا اخترنا القرن الخامس الميلادي عشر (الحادي عشر الميلادي ) كقرن التحول النهائي في لغة الكتابة والحديث من اليونانية والقبطية إلى العربية ، فقدر أينا أن ندخل في التحليل اللغوي كتابات القرنين الثاني عشر والثالث عشر كذلك لعدة أسباب ، منها :

أولاً : امتداد الفترة الخصبة في كتابات الأقباط العربية إلى نهاية هذين القرنين .

وثانياً : لأن معظم المخطوطات وأوراق البردي العربية التي كشفت حديثاً تتعلق بفترة تمتد نحو سبع قرون بعد الفتح العربي لمصر .

وثالثاً : لأننا رجحنا احتمالبقاء اللغة القبطية في بعض الأماكن النائية لمدة قرن أو قرنين آخرين ، ولمدة أطول في داخل الأديرة وبين الرهبان ، أو كلغة متعلمة بين العلماء الأقباط . ومعنى هذا أن اللغة القبطية ظلت خلال هذه الفترة أداة في يد بعض الناس للدرجة محدودة وإن لم يحررها ذلك الحياة في عقول كثير من الباحثين والمثقفين من رجال الدين الأقباط . ومن الملاحظ أن معظم كتابات الأقباط العربية في تلك الفترة ، قام بها رجال الدين أو العلماء

التعصبون للغتهم وقوميتهم القديمة ، من كانوا يعرفون القبطية إلى جانب العربية . ومعنى هذا أنهم كانوا في كتاباتهم العربية متأثرين بثقافتهم القبطية ، وبعرفتهم للغة القبطية وغيرها من اللغات الأجنبية ، كاليونانية والسريانية .

ومن أجل هذا لا يصح إسقاط القرنين الثاني عشر والثالث عشر من حسابنا إذا أردنا أن ندرس آثار اللغة القبطية على عربية مصر ، وأن نورخ حركة التأثير والتأثر من كلا الحانين على الآخر .

ولكي ندرس عربية مصر في تلك الفترة ، نحن في حاجة إلى نماذج عديدة تمثل المستويات المختلفة للغة . فما لاشك فيه أن لغة الكتابة تختلف عن لغة الحديث ، ولغة الكتابة نفسها تتفاوت من كاتب إلى كاتب ، وكذلك لغة الحديث تختلف من متكلم إلى متكلم . ولو جارينا علماء اللغة المحدثين لقلنا إن لكل شخص لغة خاصة ، ولكل متكلم لهجة معينة ، وهذا فهم لا يرضون في تقسيمهم لمستويات اللغة بمستوى دون المتكلم الفرد نفسه . بل منهم من يذهب إلى أبعد من ذلك فيقسم العادة الكلامية للشخص إلى مستويات متعددة تختلف بحسب حالة المتكلم الراهنة ، ودوره الذي يلعبه في المجتمع . ومن السهل على المرء أن يميز في كلام الشخص الواحد بين عدة مستويات ، حين يتكلم مع أسرة صديقه ، أو مع غرباء ، أو مع أفراد ذوى مراكز اجتماعية مختلفة ، أو في مجال العمل ... الخ .

ولصعبه هذا النوع من الدراسة أو استحالتها بالنسبة للفترة التي ندرسها ، فضلاً عما يؤدى إليه من نتائج جزئية خاصة ، فإننا آثرنا أن نتجه في مجال دراستنا إلى الخصائص العامة ، وأن تكون نظرتنا دائماً كلية تصور ما يمكن أن يسمى باللغة أو اللهجة في خطوطها العريضة وظواهرها المشتركة .

والمادة المكتوبة التي اعتمدنا عليها في تلك الدراسة كثيرة ومتعددة وتشمل ما يأتى :

## أولاً : أوراق البردي العربية : وكان أول ما عثر عليه من هذه الأوراق

ورقان مكتوبتان باللغة العربية في مكان قرب أهرام سقارة وذلك عام ١٨٢٤ م. وقد سلمت الورقان إلى قنصل فرنسا بالقاهرة يومذا فاهم بها وأرسلها للبارون سلفسر دي ساسي المستشرق المتخصص فنشر ما بالورقين . وبذل بدأ دراسات أوراق البردي ترى النور ، وأخذ هذا النوع من البحوث يتتطور منذ أوائل القرن العشرين حتى أصبح علمًا مستقلًا له متخصصوه والمشغلون به.

وبعد مضي خمسين سنة من الكشف السابق ، وجد بالفيوم كمية كبيرة من أوراق البردي نقل معظمها إلى المكتبات الأوربية ، ومن المحتمل أن تكون محفوظات دار الكتب المصرية من هذه البرديات متصلة بهذا الكشف ، أو تكون جزءاً منه . ثم اكتشفت بعد ذلك جمادات أخرى وجدتها الباحثون عن « السباح » بين تلال أهناس وإيخيم والأشمونين والبهنسا وكوم أشقاو وميت رهينة وإدفو .. ومنها ما عثر عليه في خرائب الفسطاط .

ومن الصعب أن نحدد عدد الأوراق البردية العربية الموجودة في مكتبات العالم الآن نظراً لعدم تمام الفهارس . ولكن يقدرها البروفسر جروهمان خبير البرديات العربية بنحو ستة عشر ألف قطعة موزعة على مكتبات كثيرة من دول العالم مثل فينا ومصر وتونس وألمانيا وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا والنرويج وروسيا وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية .

ويقول البروفسر جروهمان إن أوراق البردي العربية ذات الصبغة الأدبية قليلة بالنسبة ل مقابلتها في البرديات اليونانية <sup>(١)</sup> . وتوافقه السيدة ناية أبوت في هذا الرأي إذ تقول : إن « وثائق البردي التي اكتشفت ونشرت معظمها يتعلق بالإدارة والاقتصاد . أما أوراق البردي الأدبية فنادرة جداً ، وهي عبارة

عن شئرات متفرقة . وقد بذلك جهود قليلة جداً لدرستها حتى الآن (١) .  
وما عُثر عليه في مجال الأدب ورقة من ديوان شعر ، وأبيات متناثرة ، وأحياناً  
قصائد كاملة . كذلك عُثر على قطع من كتاب في النحو وهي محفوظة في مجموعة  
مكتبة شيكاغو (٢) :

وكلير من الوثائق التي عُثر عليها وجد متلاصقاً منهاسكاً إلى حد يقرب  
من التحجر ، إلى جانب ما وصل متمزقاً كله أو بعضه بفعل الأرضة أو الرطوبة .  
ولكن إلى جانب هذا توجد - لحسن الحظ - قطع سليمة يمكن قراءتها بسهولة .

وتغطي هذه الوثائق فترة تزيد على سبعة قرون من عام ٢٢ للهجرة  
إلى عام ٧٨٠ هـ . وإذا كان هذه الوثائق قيمة خاصة بالنسبة للمؤرخ ودارس  
الحضارة الإسلامية فهي من الأهمية بمكان كذلك لدارس اللغة ، وهي ثروة  
نفيسة من المادة اللغوية قلما يجود التاريخ بمثلها . ويمكن بدراسة هذه الوثائق  
الوصول إلى نتائج لغوية وفلسفية هامة سواء من ناحية أسلوب الكتابة  
الكلاسيكية في تلك الفترة ، أو في أسلوب الكتابة الإدارية أو الرسائل  
الخاصة ، أو الأسلوب العامي (٣) .

ويكفي للتدليل على قيمة هذه الوثائق أنها نقضت ما هو شائع بين الباحثين  
من أن اختراع الإعجام تم على يد يحيى بن معمر في النصف الثاني من القرن  
الأول ، فقد وجدت أقدم وثيقة بردي عربية وهي مؤرخة عام ٢٢ هـ وهي  
تشتمل على نقط فوق الحروف ؛ ش ، ز ، ذ ، خ ، ن .

وأحد الوثائق العربية التي رجعنا إليها تلك التي نشرها Adolf Grohmann  
تحت عنوان :

Studies in Arabic Literary Papyri

(١) أنظر نايه أبيوت في مقدمة كتابها :

(٢) جروهمان : المرجع قبل السابق ص ٤ - ١٠ .

(٣) انظر جروهمان : الخاضرة الأولى عن الأوراق البردية العربية ، كذلك مراد كامل  
\* « حضارة مصر في العصر القبطي » ص ٧٠ .

1 — Arabic Papyri in the Egyptian Library.

2 — From the World of Arabic Papyri.

والتي نشرتها Nabia Abbott تحت عنوان :

1 — The Kurrah Papyri.

2 — Studies in Arabic Literary Papyri.

ولى جانب هذا وذاك توجد مجموعة من النصوص القبطية عمر عليها في دير البلاعزة حققها الدكتور Kahle ، وهي تغطي فترة محدودة جداً نحو مائة سنة من ٦٧٥ إلى ٧٧٥ م . وهذه الوثائق وإن كانت قد كتب معظمها بالقبطية ففيها نسبة نحو ٦٪ كتبت باللغة العربية .

وإليكم عما ذكرنا من هذه البرديات راعينا فيها التنوع لتشمل أكثر من مستوى كلامي :

١ — بسم الله الرحمن الرحيم ، من قرة بن شريك إلى صاحب أشقوه .  
فإنني أحمد الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فانظر الذي كان بي على أسقف كورتك ما فرض عليه عبد الله بن عبد الملك .. فعجل به مع رسولي ورسول الأسقف . ولا توخرن من تلك البقية قليلاً ولا كثيراً والسلام على من اتبع المهدى .

وكتب في ربيع الأول سنة ٩٠ .

٢ — بسم الله الرحمن الرحيم . من قرة بن شريك إلى صاحب أشقوه .  
فإنني أحمد الله الذي لا إله إلا هو . فإن إبشاشة بن أبيتيله قد أخبرني أن له على أنباط ( فلاحين ) من أهل كورتك ( خمسة ) عشر ديناراً ، فزعم أنهم غلبوه على حقه . فإذا جاك كتابي هذا ، وأقام البيينة على ما أخبرني فاستخرج له ، ولا تظلمن عبده إلا إن كانت بيته غير ذلك فاكتبه لي . والسلام على من اتبع المهدى .

وكتب مسلم بن لبن ونسخ الصلت :

في صفر سنة إحدى وتسعين .

٣ - من قرة بن شريك إلى بطرس جرجه القسطنطى (حاكم المدينة) .

قد قبضت منك المال الذى من مدينة « أهناس » عما يَقْتَالُكَ من الغرامة  
ما أدرك عليك من الحياة ... الخ .

٤ - من قرة بن شريك إلى بسيل صاحب أشقوه . فإني أَحْمَدَ اللَّهَ  
الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإنك قد علمت الذى كتبت إليك به من جمع  
المال الذى قد حضر من عطا الجندي وعيالهم وغزو الناس . فإذا جاككتانى هذا  
فخذ فى جمع المال ... ثم عجل إلى بما اجتمع عندك من المال بالأول ،  
ولا أعرفتك ما حبستنا بما قبلك ، فإن أهل الأرض قد فرغوا من الحرثة  
وعلموا ما عليهم ... فعجل عجل بما اجتمع عندك من المال فإنه لو قد قدم  
إلى المال قد أمرت للجندي بعطائهم إن شاء الله . فلا تكون آخر العمال بعثا  
بما قبلك ، ولا ألومنك في ذلك والسلم على من اتبع المدى .

٥ - بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من قرة بن شريك لأهل سوريا  
رسرو من كورة أشقوه ، إنه أصابكم من جزية سنة ثمان وثمانين مائة دينار  
وأربعة دنانير وثلثي (كذا) دينار عدداً ، ومن ضريبة الطعام أحد عشر إاردب  
قمح وثلاث إاردب .

وكتب راشد في صفر سنة ٩١ .

٦ - وهذا خطاب مؤرخ عام ٢٤١ هـ يتحدث عن هجوم الأسطول  
البيزنطي على دمياط :

بابا حفص ، لو رأيت الناس فيه عندنا اليوم من التخلص والسخرة .  
يونخد النواتية وغير النواتية . وكلمن فدروا عليه أختنوه . يدخلوا كل يوم  
جماعة من كل موضع . أسأل الله الفرج من عند رحمته . والأمير - أيده الله -  
قد خرج إلى الخلة ودمياط وهو أول يوم من مسرى ، وأخرج معه جماعة

من الجند . وذلك أنه ورد عليه كتاب من أمير المؤمنين - أعزه الله - يشدد عليه أن يربع . عندي رسم كتاب لا أقدر أن أكتب به إليك ... الخ ..

٧ - وهذه وثيقة من القرن الثالث المجرى عن تسلیم بضائع ودفع نقود :

بسم الله الرحمن الرحيم . حفظكم الله وأبقاكم وأمتع بكم وأتم نعمه عليكم ودفع السوء عنكم وعننا وعن جميع أمة محمد إنه على ذلك قادر برحمته . قد بعثت إليكم مع ميمون المكارى بصرة فيها اثنين وأربعين دينار شهرية لي . وفيها دينارين لحمد بن حبة ، ومعها في الصرة صرة لسلمان بن داود .. فانظروا إذا وصلت إليكم أن ثبتو إلينا بوصولها إليكم إن شاء الله . وانظروا أن تشرو لي منديلين شفاق مختص ومنديلين رياط مختص . وأننا باعث بهما خمس منديل حتا يكنى ثلاثة رياط ومنديلين شفاق جيد . فإن الشفاق الذى بعثت به وحيش جداً . فعليك بالجيد فإن الجيد كويس ... انظر حفظك الله يابا على ألا تشرى إلا الجيد من الشفاق فقد نفر الناس من الوحيش . وقد كتبت إليك غير كتاب بعثت إلى بالقلة الحاج فلم تفعل فيخفى على إلاما عجلتها . واشترى لي أربعة قلال صغار للحجارة تستقى بهم الماء فاني أحتج إليهم وتسري بذلك ...

٨ - وهذه وثيقة كتبت في القرن الرابع المجرى :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصل كتابك يا شيخي وسيدي .. وعني ما ذكرته من الأحوال الذى شرحتها لي ما ذكرت من المحراب الذى نزل بناحيتك عمرها الله بيقايك .. لقد كنت على قلق عظيم وارتجاف شديد لحبس كتابك عنى وبطؤ خبرك على حتى .. ورد بعد ذلك كتابك فز ال جمبع همى .. وذكرت يا سيدي أيدك الله أمر القمع وشدة حاجتك إليه وأن أتسلف لك من عند عطا أو جباره أو غيرهم منمن أعلم أن عندهم شيئا . فوالله العظيم شأنه القوى سلطانه لقد عظم على مكاتبتك لهم تستلهم مثل هذا المقدار حيث

لم يكون عندي أنا شئ أغنيك به من سواهم ... وبـالله العظيم لقد أحضرت  
عطـا وجبارـة وحسـن وأولادـعـيق عبدـالرحـمـن وأخـوهـ وأخـرـ جـتـ لهمـ الدـنـانـيرـ  
وـسـأـلـهـمـ أـنـ يـبـيـعـونـ لـكـ المـقـدـارـ الـذـىـ ذـكـرـهـ بـأـيـ سـعـرـ أحـبـوهـ فـبـالـهـ إـنـكـانـ وـاحـدـ  
مـنـهـ قـرـلـ بـعـدـ وـاحـدـ فـضـلـاـ عـماـ سـواـهـ .ـ وـقـامـواـ وـبـقـيـتـ الدـنـانـيرـ بـيـنـ يـدـيـ .ـ  
وـوـكـلـاـكـ حـضـرـ مـثـلـ هـذـا ..ـ فـكـيـفـ تـسـمـحـ نـفـوسـهـمـ يـسـلـفـوـ شـيـ وـيـاخـذـوـهـ  
وقـتـ الغـلةـ ...ـ

٩ - وهناك إلى جانب ذلك مخطوطة فريدة من نوعها نشرها الدكتور  
جورجي صبحى تحت عنوان :

**New Texts from the Monastery of Saint Macarius.**

ونقع في ٣٣ ورقة كاملة و ٦ ورقات مزقة وورقة صغيرة ، وترجع إلى أواخر  
القرن الثالث عشر أو القرن الرابع عشر . وأهم ما يميز هذه المخطوطة أن لغتها  
عربـيةـ مـكـتـوـبةـ بـخـرـوـفـ قـبـطـيـةـ ،ـ وـمـثـلـ فـيـهـ أـصـوـاتـ الـعـلـةـ إـلـىـ جـانـبـ الـأـصـوـاتـ  
الـسـاـكـنـةـ .ـ وـتـرـبـيـنـاـ هـذـهـ المـخـطـوـطـةـ –ـ إـلـىـ حدـ كـبـيرـ –ـ كـيـفـ كـانـتـ تـنـطـقـ عـرـبـيـةـ  
مـصـرـ فـيـ وـقـتـ كـتـابـتـهـ .ـ وـلـغـتـهـ مـزـيـجـ مـنـ الـعـامـيـةـ وـالـفـصـيـحةـ .ـ وـإـلـيـكـمـ اـقـبـاسـاـ  
مـنـ هـذـهـ المـخـطـوـطـةـ :

احفظ نفسك أن لا يسيء عقلك في ذكر خطيباك القدمة . بل اذكرها  
واندم عليها لثلا يذهب منك الاتضاع . فإن ذلك ينقيك من الخطية . لا تكون  
مناقض تحب تقيم كلمتك لثلا يسكن فيك الشر . لا تجعل نفسك حكيم برأى  
نفسك لثلا تقع في أيدي أعداك . عود لسانك يقول اغفر لي والاتضاع  
يأتيك . إذا جلست في قلائلك ( بيت خلوتك ) فاهتم بهذه الثلاثة خصال ،  
دائماً أبداً : عمل يديك ودرس مزاميرك وصلاتك . اجعل في نفسك وذرك  
أن ليس بقالك في الدنيا .

ثانياً : كتب ألفها علماء متخصصون في الدراسات اللغوية أو الأدبية ،  
ويعتـلـ أـسـلـوبـهاـ الـمـسـتـوىـ الرـفـيعـ فـيـ الـكـتـابـةـ فـذـكـرـ العـصـرـ .ـ وـقـدـ اـخـرـناـ مـنـهـاـ  
ماـ يـأـتـيـ :

- ١ - «المكافأة» لأحمد بن يوسف المعروف بابن الديانية (ت نحو سنة ٣٤٠ھ) الذي هاجر أبوه من بغداد إلى مصر وأصبح من جلة الكتاب بها.
- ٢ - «أخبار سبويه المصري» لابن زولاق الليبي المصري (ت سنة ٣٨٦ھ).
- ٣ - «الرسالة» للإمام الشافعى. ومن المعروف أن الشافعى دخل مصر سنة ١٩٩ هـ ومات ودفن بها سنة ٢٠٤ھ، وقد ألف كتابه هذا بمصر. وقد وصف محقق الكتاب المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر أسلوب الشافعى فقال: «لغته حجة لفصاحتها وعلمه بالعربية .. وأصل الربيع من كتاب الرسالة أصل صحيح ثابت، غایة في الدقة والصحة. فما وجدناه مما شذ عن القواعد المعروفة أو كان على لغة من لغات العرب لم نحمله على الخطأ، بل جعلناه شاهدًا لما استعمل فيه».
- ٤ - مؤلفات علماء اللغة المصريين الثلاثة الذي اشتهروا في مصر خلال القرن الرابع المجرى وهم: كراع (ت سنة ٣١٠ھ)، وابن ولاد (ت سنة ٣٣٢ھ)، وأبو جعفر النحاس (ت سنة ٣٣٨ھ). وإليكم نصوصاً مختارة من هذه الكتب :

#### ١ - من «المكافأة» لابن الديانية :

وحدثنى أم آسية قابلة أولاد خماروبيه بن طولون .. أنه تزوجها وأختها أخوان ، فأقبلت حال زوج أختها ، وأدبرت حال زوجها . قالت : وتوف زوجها بأسوأ حالة وخلف لها بنات .. قالت فكنت أجاهد في مؤونته ولدي . إذا وقفت أمري صرت إلى أخرى فقلت أفترضني كما وكذا استحياء من أن أقول لها هي لي . ودخل شهر رمضان فلما مضى نصفه اشتهروا على صبيانى حلوى في العيد . فصرت إلى أخرى فقلت لها : أفترضني ديناراً أعمل به للصبيان حلوى في العيد . فقالت يا أخرى تغيظيني بقولك أفترضني ، وإذا أفترضتك من أين تعطيني . فمن غلة دورك أو بستانك ؟ لو قلت هي لي كان

أحسن . فقلت لها أقضيك من لطف الله تعالى الذي لا يحتسب ، وجوده الذي يأتي من حيث لا يرتفع . فتضاحكت وقالت : يا أخي هذا والله من المني ، والمني بضائع التوكى . فانصرفت عنها أجرٌ (جلي إلى متى) .

## ٢ - من «أخبار سيبويه المصري» لابن زولاق :

وسمعت سيبويه يقول وقد جرى ذكر ابن المدبر عامل خراج مصر فقال : لقد بلغني عنه أنه كان سائراً في جمعه وعدده ، ورجاله وجندوه ، حتى وقفت له امرأة معها أطفال فقالت له : هؤلاء أطفال فلان وقد طال حبسه وهو فقير . فالتفت إليها بفظاظة وغلظة وقال : لا يخرج من الحبس إلا بأداء ما عليه .. فأنكر كل من حوله الكلام في أنفسهم . فلم تمض الجمعة حتى قبض عليه أحمد بن طولون وسلمه إلى محمد بن هلال عامل خراجه وقال : قيده وغله وألبسه جبة صوف متنعة في دهن الأكاراتع مختومة ، وأوقفه في الشمس على مزباء على باب دارك . ففعل به ابن هلال ذلك .

## ٣ - من «المقصور والمملود» لابن ولاد :

فأما المقصور الذي يسمى منقوصاً فهو ما كانت ألفه التي في آخره مبدلة من ياء أو واء وافتتح ما قبلهما ، وكانت في موضع حركة فأبدل منها ألف نحو مليئ ، ألفه مبدلة من واء لأنه من اللهو ، ومرمى ألفه مبدلة من الياء لأنه من الرمي . والأصل فيها مليئ ورمى ، فلما تحركت الواو والياء وافتتح ما قبلهما أبدل منها ألف . وكذلك عصا ورحى .. وإنما سموا عصا ورحى وما شاكل ذلك منقوصاً .. من أجل أن الألف أبدلت مكان الياء والواو .. فلم يدخلها رفع ولا نصب ولا جر .. فهذا وجه نقصانها .

## ٤ - من كتاب «المنجد» لكراع :

قال أبو الحسن علي بن الحسن المدائى : هذا كتاب ألفته فيما اجتمعت عليه

الخاصة وال العامة من الألفاظ التي عَنْت م رائتها و خصبت معانيها ، و جعلته  
منتهي أبواب :

الباب الأول منها في ذكر أعضاء البدن من الرأس إلى القدم .

الباب الثاني في ذكر صنوف الحيوان من الناس والسباع والبهائم والهوام .

الباب الثالث في ذكر الطير الصوائد منها والبغاث وغير ذلك .

الباب الرابع في ذكر السلاح وما قاربه .

الباب الخامس في ذكر السماء وما يليها .

الباب السادس في ذكر الأرض وما عليها . وفي هذا الباب ٢٨ فصلاً على عدد حروف المجاء من الألف إلى الباء . وأثبتت في كل باب منها ما قصدت له من الحروف المتشابهة بأجناسها وما سنت من الشواهد عليها مما يكون فيه الدلالة دون الإكثار والإطالة . وبالله التوفيق والتسديد ومنه العون والتأييد .

ثالثاً : كتب ألفها علماء أقباط ظلوا محتفظين بدينهم ، وتعلموا اللغة العربية لسبب أو لآخر وأنقذوها ، ولكن ظلت كتاباتهم تعكس خصائص معينة وتبدو عليها المسحة الأجنبية . وقد اخترنا من بين هؤلاء العلماء :

١ - سويرس بن المقفع (القرن ٤ هـ) في كتابه : « سير الآباء البطاركة » .

٢ - سعيد بن بطريق (القرن ٤ هـ) في كتابه : « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » و « البرهان » .

٣ - الشيخ أبو صالح الأرمني الذي هاجر إلى مصر واستوطن بها (القرن ٦ هـ) وله كتاب مشهور في التاريخ .

٤ - مجموعة من العلماء الأقباط وجدوا في القرنين ٦ و ٧ هـ وتركوا مؤلفات باللغة العربية معظمها يتناول النحو القبطي والتعاليم المسيحية . وعلى رأسهم :

(أ) أولاد العسال . وأصلهم من بلدة سمنة من صعيد مصر من عائلة دجل اسمه أبو البشر يوحنا الكاتب المصري . وقد شغل بعض أولاد العسال مناصب كبيرة في الحكومة . وألقووا كتاباً في الديانة المسيحية باللغة العربية ، وترجموا بعض الكتب الدينية من اللغة القبطية إلى اللغة العربية ، وألقووا بعض الكتب في الغرض المقدم . ويبدو من كتبهم أنهم أخذوا بخط وافر من الثقافة الإسلامية . واشتهر بينهم الصنف ابن العسال وله مجموع يسمى «المجموع الصفوی» ، وهو كتاب ضخم ألف في فقه المذهب الأرثوذكسي ، وقد رجعنا إليه . وللأسعد ابن العسال أرجوزة في المواريث جاء فيها :

الشكر لله الوجه الدايات	سبحانه مثلث الصفات
أحمده حمداً كما هو أهله	إذ فاض بحر جوده وفضله
أزيد في التجسد والتبسيح	لابن الإله السيد المسيح
	ومنها :

في الإرث خذ منحصراً من فرع	يا لها الطالب علم الشرع
جملته نظماً بلا تفصيل	اسمع هديت أفضل السبيل
والقبر والحمل والقربان	ابدأ بما يصلح للأكفان
فالشرع قد صبره مقدماً	أوف الديون قبل أن تقسمها

ولأنى الفضل بن العسال معجم سهاه «السلم المقفى والذهب المقفى» . وهو معجم قبطي عربي رجعنا إليه . ولأنه من بن العسال كتاب في نحو اللغة القبطية سهاه «المقدمة» رجعت إليه .

(ب) آبا يزائنس (يوحنا) أسقف سمنود المشهور باسم السمنودي ، وله مقدمة أجروممية و سلم (مجموع كلمات) . وقد رجعت إلى مقدمةه في نحو اللغة القبطية .

( ج ) الوجيه القليوبي الذى ألف كتاباً أسماه « الكفاية في نحو اللغة القبطية » ، وقد رجعت إليه :<sup>٣</sup>

( د ) الشیخ الرئیس ابن کاتب قصر الذى ألف كتاباً في نحو اللغة القبطية سیاه « التبصرة » ، وقد رجعت إليه .

( ه ) ابن الدھیری الذى ألف « مقدمة في نحو اللغة القبطية » رجعت إليها .

( و ) ابن کبر شمس الرياسة أبو البرکات الذى ألف « السلم الكبير » وهو في تفسیر کلمات قبطية بالعربية ، مرتبة على المعانی وهي على أبواب . وقد رجعت إليه كذلك . وله إلى جانب ذلك مجموعة من الخطب الدينية . ويبدو من مؤلفاته أنه واسع الاطلاع على التاريخ والأدب العربي وعلوم اللغة العربية .

والظاهرة التي تلقت النظر في مؤلفات هؤلاء أن معظمهم لم يكن متتمكناً من اللغة العربية ، وكان أسلوبه ركيكاً أو أشبه بالأسلوب الدارج منه بأسلوب الكتابة ، وإن تفاوتوا في ذلك بشكل ملحوظ . ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا القليلون جداً الذين يصعب تمييز كتاباتهم من كتابات العرب أو المسلمين . ولکثرة ما ظهر من إنتاج في هذه الفترة سمى بعضهم القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ( ٦ و ٧ هـ ) بالعصر الذهبي لأنوار الأقباط الفكرية . وإليكم نماذج مختلفة لكتابات هذه المجموعة :

١ - من « المجموع الصفوی » لابن العساى :

باسم الأب والابن والروح القدس إله واحد ، له الحمد دائماً إلى الأبد . آمين . الحمد لله الذي شرفنا بأفضل الإيمان والأعمال ، وثقف أفعالنا الظاهرة والباطنة بشرعيّي المبدأ والكمال . وبعد : فإن هذا الكتاب جموع من الكتب الإلهية ، والقوانين البيانية ، وما فرعه العقل عليها ، ورده القياس إليها ،

جُمِعًا يخافُونَ مِنَ الْإِخْلَالِ؛ وَيَجْمِعُونَ بَيْنَ فَائِدَتِ التَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ.  
أَعْتَضَدَ فِيهِ بِمَجْمُوعَاتِهِ جَمِيعَتِ بِبَصِيرَةِ وَتَوْفِيقِ وَاجْتِهادِهِ، وَأُنْتَخَبَ مِنَ  
مَوْضِعَاتِهِ وَضَعْهَا مِنْ لَهُ فِي التَّصْنِيفِ خَبْرَةً وَتَحْقِيقَ وَاعْتِيَادَ.

## ٢ - من «سِيرِ الْآبَاءِ الْبَطَارِكَةِ» لابن المَقْعُونِ :

فَشَالَ الدَّبَوْسُ لِيُضَرِّبَ أَبِي عَلَى رَأْسِهِ فَقَدِمَ رَأْسُهُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ  
يُضَرِّبَهُ صَاحُوا عَلَيْهِ جَمِيعَةُ مِنْ أَصْحَابِهِ الْمُسْتَخَدِمِينَ، وَلَمْ يَدْعُوهُ يُضَرِّبَهُ.  
وَكَانَ جَمِيعُ الْعُسْكُرِ يَقُولُوا بِلِسَانِهِ حَقًا إِنَّ هَذَا الْأَسْقُفَ نَعْمَ الْخَادِمُ لِرَبِّهِ.  
ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ أَبِي قَاتِلًا ادْخَلُوا بِجَمِيعِهِمْ فَقَدِ اسْتَدْعَاهُمُ الْمَلَكُ، فَدَخَلُنَا جَمِيعًا  
فَكَانَ مَرْوَانُ جَالِسًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ .. فَأَمَرَ أَنْ يَجْعَلُونَا عَلَى يَسَارِهِ فِي نَاحِيَةِ  
مُفْرَدَةٍ، وَأَمَرَ أَيْضًا بِإِحْضَارِنَا وَتَسْلِيمَنَا إِلَى قَوْمًا آخَرَينَ غَيْرَ الَّذِينَ جَابُونَا  
مِنَ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ .. فَلَمَّا حَمِيتِ الشَّمْسُ أَعْدَدَ لَنَا ذَلِكَ الْأَمْرِيَّ الْعَذَابِ ..  
وَحَمَلَ عَلَى كُلِّ مَرْكَبٍ ثَمَانِينَ رَجُلًا .. وَكَانُوا الْخَرَاسَانِيُّونَ قَدْ جَابُوا مَرَاكِبَ  
عَدَةً إِلَى مَصْرَ .. فَلَمَّا جَاءَتِ عَشَرَةُ سَاعَاتٍ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَقدَّمَ إِلَيْيَّ بِزِيدِ  
الَّذِي نَحْنُ عَنْهُ .. إِلَخَ ..

## ٣ - من «تَارِيخِ الشَّيْخِ أَبِي صَالِحِ الْأَرْمَنِيِّ» :

وَرَجَعَ طَلَعَ إِلَى الْأَبِ الْبَطَرِكِ .. فَقَالَ لَهُ الْبَطَرِكُ لِيُشْ رَجَعَ جَانِبَكَ  
إِلَى عَنْدِي يَا مُحْرُومٌ بِهَذَا الرَّزِّ الْمُغْرِبِ عَنْ صَنْعَتِنَا، وَمَدِيْدَهُ إِلَى رَأْسِهِ وَطَرَحَ  
الْبَرْطَلَةُ .. وَإِنَّ أَحَدَ تَلَامِيذِ الْبَطَرِكِ أَعَادَ الْبَرْطَلَةَ عَلَى رَأْسِهِ فَصَعَبَ ذَلِكَ عَلَى  
الْبَطَرِكِ .. وَقَامَ مِنْ عَنْدِهِ وَخَرَجَ مُخْزِيًّا لَا يَعْرُفُ كَيْفَ يَعْتَشِي .. ثُمَّ إِنَّ بَطَرِكَ  
الْمَلَكِيَّةَ شَيْعَهُ دِيرَ التَّقْسِيرِ وَأَقَامَ بِهِ هوَ وَأَصْحَابُهِ .. إِلَخَ ..

## ٤ - من «مُقْدِمَةٍ فِي نَحْوِ الْلُّغَةِ الْقَبْطِيَّةِ» لابن الدهيري :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ الْعُلَى، الْقَدِيمِ الْأَزِلِّ؛ ذِي الْطُّولِ الْمُتَنَّ، وَالْفَضْلِ الْمُبِينِ،  
الَّذِي أَصْنَفَ مَوَارِدَ حِكْمَتِهِ، وَأَصْنَفَ مَلَابِسَ نَعْمَهُ، لِأَعْوَالِيْنَ وَالْعَالَمِيْنَ، وَأَسْدَلَ

جلاليب كرمه ، وأسبل شأبيب دعوه . على العاكفين العارفين ، وأنوار بصائر أولى الهدایة بنور الحقيقة ، وعلم البقين ، وعم فضله ، وخاص فيضه للعاملين والمرسلين ، وقسم الموهاب بن براياء ، على قدر استعداد التابعين والقائلين ، وميز الإنسان بالعقل والنطق عن بقية الحيوانات غير الناطقين ...

#### ٥ - من «مقدمة في نحو اللغة القبطية» لسمنودي :

كان لما كانوا آباء فضلاء لأجل عدم تفسير اللسان القبطي قد تقدموا وعملوا سلماً للتفسير ، وجمعوا فيه جميع الكلام من الأسماء والأفعال ، وقصدوا بذلك كمال معرفة التفسير ، وإن بعض الناس لما استكثروا مقدار جملة الكتاب وأنه لا يحصل لهم قصد في جزء منه دون حفظ جميعه فلذلك ملوا وكسلوا قصى الحال إلى أن أعمل تفسير كلام كتب البيعة أعني الحديثة وهم الأنجليل المقدسة ورسائل بولص الرسول .. وما انضاف إليهم مساقاً على فصوله أولاً فأولاً .. وجعل إنجليل يوحنا فاختنه لأجل سهولة كلامه ليسهل لطالب القصد بذلك .

#### رابعاً : متفرقات ونماذج نثرية شعرية متناشرة في كتب الأدب والتاريخ واللغة

أذكر من بينها «صبح الأعشى» للقلقشندى، و«الولاة والقضاة» للكندى ، و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردى ، ومن أمثلة ذلك :

##### ١ - كتب ابن عبد كان على لسان أحمد بن طولون إلى ابنه العباس :

من أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين إلى الظالم لنفسه ، العاصى لربه ، الملم بذنبه ، المفسد لكتبه ، العادى لطوره ، الخاھل لقدره ، الناكس على عقبه .. سلام على كل منيб مستجيب ، تائب من قریب .. أما بعد فإن مثلك مثل البقرة تبرّ المدينة بقرنيها ، والتحلة يكون حتفها في جناحيها .

وستعلم — هبتك اهوايل — أبها الأحمد الخايل الذى ثنى على الغى عطفه ...  
أى مور د هلكة سلكت ...

٢ — من الشعر الذى قيل فى قضية القاضى العمرى :

قال طاهر القيسى :

ولقد قمعت بني الخايل عندما راموا العلا وتحوتوكوا وتعربوا!  
فرددتهم قبطا إلى آبائهم ————— ونَسِيب أصلهم الذى قد غيبوا

وقال العلي الطائى يهجو القاضى العمرى :

كم كم تطول في قراتك والجور يضحك من صلاتك  
تفضي نهارك بالهوى وتبيت بين مغنياتك  
فأشرب على صرف الزما ن بما ارتشت من الحواتك  
إن كنت قد أخذتهن ————— عربا فزوجهم بناتك

## الفصل الثالث

### المؤذن الأول: اللغة القبطية

إن حياة أي لغة بمعزل عن التأثيرات الخارجية شئ خيالي ربما لم يتحقق لأي لغة على مدى تاريخها الطويل . ومهما فرض من قيود ووضع من سدود حول اللغة ومتكلميها فإن الاحتكاك بالعالم الخارجي لابد أن يحدث ، والتبادل اللغوي لا مفر من أن يتم .

وحين يحدث — لسبب أو لآخر — أن تلتقي لغتان أو أكثر في مكان واحد ، لا يمكن أن يتصور وقوف كل منها بمعزل عن الأخرى تقول لا مساس ، وإنما الذي يحدث أن يبدأ الاحتكاك بينهما ، وأن يتبدل التأثير والتأثير . وبعد فترة تطول أو تقصر قد تتمكن إحداهما من القضاء على الأخرى والحلول محلها ، وقد لا يحدث هذا وتظل اللغتان جنبًا إلى جنب تتعرض كل منهما لسهام الأخرى دون أن تقضى عليها .

ولا يعني انتصار لغة وأنهزام أخرى أن اللغة المنهزمة تموت وتتلاشى من الوجود نهائياً ، فهي ربما تخنق كلغة متكلمة عامة وتظل مستعملة في مجالات ضيقة ، وبين عدد محدود من الناس لمدة طالت أو قصرت . كما لا يعني انهزام لغة أنها تموت موتاً كاملاً فهي تظل حية حياة جزئية في شكل بقايا وأثار تحفلت باللغة المنتصرة ، وتصبح جزءاً لا ينجزأ منها . وقد حدث هذا — على سبيل المثال — مع اللغة العربية حين رحلت إلى بلاد الفرس وقام الصراع بينها وبين الفارسية ، فقد خرجت العربية متصورة في هذا الصراع ، ومع ذلك فقد

أصاها قدر كبير من التغيير الذي يميز عربية ما وراء نهرى دجلة والفرات من سائر العribيات . وحدث هذا أيضاً مع اللغة العربية حين وفدت إلى مصر مع العرب ، واحتللت باللغات المحلية التي كان أهمها القبطية ثم اليونانية . فحين استوت اللغة العربية على سوقها ، وقهرت أولاً اللغة الرسمية والثقافية وهى اليونانية ، ثم اللغة الوطنية وهى القبطية ، تحملت آثاراً من كل منها ، وظهرت عليها ملامح من كلتا اللغتين . ويبدو أن التأثير اليوناني على عربية مصر كان محدوداً، إذ لم يتعد إقراضها بعض المفردات ، وبخاصة في مجال المصطلحات العلمية ولغة الدواوين ، لأنها لم تكن لغة متكلمة بقدر ما كانت لغة مكتوبة ، ولم تشع على ألسنة العامة شيوخ اللغة القبطية . ومعظم الصراع اللغوي يتم بين لغتين حيثين تزيد كل منهما السيطرة على لغة الحياة العامة . واحتكر ميدان الحديث والتخاطب العادي . وفضلاً عن ذلك فإنه من المستحيل – بالنسبة لكثير من الكلمات – القطع بأن الإقراض من اليونانية قد تم في مصر ولم يتم في بلد عربي آخر ، وأنه خاصة تميز عربية مصر من سائر العribيات . وصعوبة أخرى تنس التأثير اليوناني في عربية مصر يتمثل في صعوبة الفصل بينه وبين التأثير القبطي ، وذلك لأن اللغة القبطية حين جاءت إلى معركتها مع العربية كانت قد اقرضت كلمات كثيرة من اليونانية ، وبخاصة في مجال الطقوس والعبادة وحياة الرهبنة . وحين ترجمت الكتب المقدسة إلى اللغة القبطية روى المحافظة على كل الكلمات اليونانية التي لها دخل بالعقيدة أو تعبّر عن أفكار مسيحية . ولذلك نجد من يبحثون في التأثير الأجنبي على عربية مصر يدجعون للغتين القبطية واليونانية ، ويتحمّلُونَ عَنْهُمَا معاً في وقت واحد . وخبر مثال على هذا ما فعله الدكتور جورجي صبحى في بحثه المعنون . :

Common Words in the spoken Arabic of Egypt of Greek or Coptic Origin.

فلهذا كله سرّ ذكر حديثنا على الأثر القبطي . وسنكتفي بالإشارة العابرة إلى التأثير اليوناني حين تملك الدليل عليه .

فإذا أردنا الحديث عن التأثير القبطي وجدنا شقة الخلاف تسع بين الدارسين حول مداه على عربية مصر إلى حد التطرف في الاتجاهين المتضادين . ففريق بالغ مبالغة واضحة في ادعاء الأثر القبطي ، وأخذ يتصيد أي فرصة لإثبات نفوذه ، كما حاول تفسير كثير من الملامح الخاصة بعربيـة مصر على أنها من آثار اللغة القبطية . وفريق آخر أخذ الطرف المضاد ، وبالغ في التقليل من آثار القبطية على العربية ، وحاول تفسير كل ظاهرة يشم منها رائحة القبطية تفسيراً يخرجها عن هذا الحال . وهناك فريق ثالـث توسط بين الرأيين ، وسلك مسلكاً معتدلاً لا تحيز فيه لأحد الحابـين ولا تعصب فيه لإحدى اللغتين ضد الأخرى . ويوجـد فريق رابـع من الدارسين مـن القضية مـسـاحـيفـاً وأـشـارـاتـاـتـاـ عـابـرـةـاـ إـلـىـاـ التـأـثـيرـاـ القـبـطـيـاـ وـأـعـطـيـاـ أحـكـامـاـ مـبـتـسـرـةـاـ لـيـسـتـاـ مـبـنـيـةـاـ عـلـىـاـ التـحـلـلـاـ العـلـمـيـاـ للـوـاقـعـاـ اللـغـوـيـاـ . وـسـنـعـرـضـاـ فـيـاـ إـلـيـازـ هـذـهـاـ الـاتـجـاهـاتـاـ الـأـرـبـاعـاـ ثـمـ نـعـقـبـاـ بـرـأـيـاـ فـيـاـ الـمـوـضـوـعـاـ .

أما الفريق الأول : فـيمـثلـهـاـ الـدـكـتـورـ جـورـجـيـ صـبـحـيـ الـذـيـ اـشـتـهـرـ بـأـخـالـهـ الصـافـيـةـ فـيـ هـذـاـ الـمـوـضـوـعـ . وـنـشـرـهـ لـكـثـيرـ مـنـ الـوـثـائقـ وـالـبـرـديـاتـ الـهـامـةـ . وـلـكـنهـ مـاـلـ كـلـ الـمـلـلـ فـيـ أحـكـامـهـ . وـحـافـ حـيـنـ أـرـادـ أـنـ يـنـسـبـ كـلـ شـيـءـ إـلـىـ الـقـبـطـيـةـ . وـمـاـ قـالـهـ فـيـ هـذـاـ الـمـوـضـوـعـ :

١ - بـفـحـصـ مـفـرـدـاتـ الـلـغـةـ الـعـامـيـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ مـصـرـ يـفـاجـأـ الشـخـصـ بـأـنـ يـنـجـدـ عـدـدـاـ عـظـيـمـاـ مـنـ الـكـلـمـاتـ الـتـيـ يـعـكـنـ رـدـهـاـ بـسـهـولةـ إـلـىـ أـصـلـهـاـ الـمـصـرـىـ الـقـدـيمـ أوـ أـصـلـهـاـ الـقـبـطـيـ(١)ـ .

(١) انظر جورجي صبحي ص ٢٢ من كتابه :

Common Words in the Spoken Arabic of Egypt of Greek or Coptic Origin.

و ص ٧٢ من مقاله :

Studies of Ancient Egyptian in Modern Dialects

المـنشـورـ بـمـجـلـةـ : Ancient Egypt عام ١٩٢١ .

٢ - من الممكن أحياناً ترجمة جملة صعيبة إلى القبطية ترجمة حرفية بدون تغيير نحوى ، أو عمل أي تعديل في نظام الجملة<sup>(١)</sup> .

٣ - استعمال القبطية بجانب اللغة العربية في مصر لمدة طويلة من الزمن قد ترك آثاراً قبطية كثيرة في اللغة العربية الدارجة ككلمات وتعابير وتراتيب أثرت على تعابير وتراتيب اللغة العربية الدارجة في مصر ، حتى في نطق حروف هذه الأخيرة ، وبذل أصبحت لغة مصر الدارجة مختلفة بالمرة عن سائر لهجات اللغة العربية المستعملة في الأقطار المجاورة لمصر ، ليس فقط في معجمها ، بل في نحوها وصرفها<sup>(٢)</sup> .

٤ - من الغريب أن الاختلاف الحالى بين لهجات اللغة العربية الدارجة (في مصر) يوافق جغرافياً الاختلاف بين اللهجات القبطية القديمة<sup>(٣)</sup> .

٥ - كما يتمثل تطبيقه في القوائم الطويلة التي قدمها في كتاباته المختلفة لكلمات شائعة في عربية مصر ادعى أن لها أصلاً قبطياً<sup>(٤)</sup> .

ويشاركه في القوائم الطويلة باحث قبطي آخر هو الأستاذ جرجس فيلوثاوس عوض<sup>(٥)</sup> . كما يشاركه في مبالغاته في مدى التأثير القبطي على اللغة العربية مستشركون كثيرون منهم D. Prince الذي يقرر أن هناك أثراً كبيراً للقبطية على العربية المصرية يشمل نظام الجملة والمفردات وطريقة النطق ، ومثل E. Littmann و F. Praetorius الذين صرحا بوجود نفوذ

(١) نفس المترجمين ونفس الصحفتين السابقتين .

(٢) قواعد اللغة المصرية القبطية للدكتور جورج صبحى ص ٣ و ٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٤ و ٨ .

(٤) انظر مثلاً ص ٧٤ وما يبعدها من : Ancient Egypt 1921

وبعه ... Common Words ، وبعه :

The Persistence of Ancient Coptic Methods of Medical ...

(٥) انظر الجلة القبطية السنة الأولى ص ١٤٠ وما بعدها ، وص ٣٦٩ وما بعدها ، وص ٤١٢ وما بعدها ، وص ٤٧٠ وما بعدها ، والسنة الثالثة ص ٢٩٧ وما بعدها .

قطبي كبير وبخاصة في مجال النحو ونظام الجملة : وردوا عدداً من خصائص اللغة العربية المصرية إلى أصول قبطية .

وسوف نناقش هذا وغيره حينما يأتي دور إبداء رأينا في الموضوع .

وأما الفريق الثاني : فيمثله المستشرق المشهور De Lacy O'Leary (١)

الذى ينفي هذا التأثير بشدة ، ويخالف Stern , Praetorius , Littmann ، الأمثلة التي ذكروها على أنها ذات أصل قبطي – تفسيراً عربياً صرفاً . ويؤمن أولئك بأن لغة الصعيد لا تعكس نفوذاً قبطياً – كما يزعم بعضهم – وإنما تعكس نفوذاً بدرياً عربياً . ومن أنكر وجود أي تأثير نحوى لللغة القبطية على عربية مصر المستشرق E. Galtier (٢) في مخته :

De l'influence du Copte sur l'Arabe d'Egypte

وأما الفريق الثالث : فيمثله الدكتور ولسن بشائر الذى درس القضية

دراسة موضوعية ونظر إلى جميع أطرافها نظرة علمية صرفـة ، وانتهى إلى محدودية التأثير الصوتى للهجة القبطية الصعيدية على اللهجة العربية المصرية المستعملة في الصعيد ، وانعدام تأثير اللهجة القبطية البحيرية على لغة القاهرة .

أما في مجال النحو فقد أثبتت أربعة أمثلة فقط للتأثير القبطى على المصرية الدارجة وعقب ذلك بقوله : « وهذه النتيجة تدل على أن النفوذ القبطى على العامية المصرية من جانب النحو قليل جداً بدرجة تثير الانتباه ». وأما في مجال المفردات فقد جمع الكاتب أكثر من مائة كلمة ادعى غيره اقتراضاً منها من اللغة القبطية فوجد من بينها ١٠٩ كلمات فقط وافق على اقتراضاها ، أما الباقى فمعظمها يمكن من ردء إلى أصله العربى ، وبعضه وجده مفترضاً من لغات أخرى غير القبطية . وانتهى بفحصه إلى النتيجة الآتية : إن معظم الكلمات القبطية المقترضة تتعلق

Notes on the Coptic Language

(١) انظر

Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale

(٢) انظر

الجزء الثاني سنة ١٩٠٢ صفحـة ٢١٢ وما بعدها .

كلمات خاصة بالكنيسة . وكلمات تستعمل في القرى النائية وغير معروفة لكثير من المصريين . أما الكلمات القبطية المشتركة الموجودة في المصرية الدارجة فقليلة العدد <sup>(١)</sup> .

ونحن وإن كنا نوافق الباحث في نظرية العامة فإننا نخالفه في بعض التفصيات كما سيأتي في موضعه .

وأما الفريق الرابع : فيمثله يوهان فوك الذي قال في كتابه « العربية » :

« بينما أثرت الفارسية في عربية العراق تأثيراً بعيد المدى وكثرت في اللغة العربية الفصحى الألفاظ الفارسية المعرفة بصورة ملحوظة ، فإن أثر القبطية في اللهجة العربية جد ضئيل » ، والدكتور عبد الرحمن أيوب الذي قال في كتابه « التطور اللغوي » : « وإذا كان من الصحيح أننا نتكلم اليوم لهجة عربية فمن الصحيح أيضاً أن كثيراً من الخصائص القبطية قد تسربت إلى هذه اللهجة » . واكتفي بذلك دون أن يخالوا مناقشة القضية مناقشة علمية . أو يقدموا الدليل على ما قالاه .

أما نحن : فنرى أن التأثير القبطي على عربية مصر لا يمكن إنكاره ، وأن فترة التأثير القوى كانت في القرون الثلاثة أو الأربع الأولى حينما كانت اللغتان حينئذ متكلمتين . وقبل أن نبدأ دراستنا التفصيلية لهذا الموضوع نخب أن نوضح المبادئ الآتية :

١ - أن بعض التأثيرات القبطية قد غزت العربية الفصحى المشتركة ، وذكر في كتب اللغة الموثوق بها <sup>(٢)</sup> . وبعضها انتقل إلى عاميات أخرى غير عامية مصر ،

(١) انظر : Notes on the Coptic Substratum in Egyptian Arabic ولنفس المؤلف رسالة نال بها درجة المكتوراه من جامعة جونز هوبكينز بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٩ يعنوان : The Coptic Influence on Egyptian Arabic . ولكنني لم أتمكن من الحصول عليها .

(٢) سبق التمهيد لذلك بكلمات مثل « قبس » و « صداع » و « مشط » (انظر التمهيد) .

٢ - أن قضية التأثير والتاثير من القضايا الشائكة التي يعسر أو يستحيل في بعض الأحيان القطع فيها برأى . فرب كلمة عربية يظن أصلها القبطي يظهر فيها العكس أو يظهر لها أصل أجنبي آخر تكون اللعنان قد استعارتاها منه سواء عن طريقين منفصلين أو عن طريق إحداهما . وربما يمكنني أن أمثل لذلك بكلمة « سفتحة » معنى « إ يصل » التي وردت في وثيقة عربية من وثائق البردي الخفوظة بدار الكتب المصرية . والتي يرجع تاريخها إلى عام ٣٤٦ م . فواضح أنها كلمة غير عربية . ولكنها في الحقيقة ليست قبطية وإنما فارسية<sup>(١)</sup> . ومن أمثلة ذلك الكلمات اليونانية الأصل الموجودة في كلتا اللغتين القبطية والعربية . إذ لا يمكننا أن نقطع هل كانت قد دخلت العربية عن طريق القبطية أو عن اليونانية مباشرة . كما لا يمكننا أن نقطع ما إذا كانت هذه الكلمات قد دخلت العربية عن طريق مصر أو عن طريق بلد عربي آخر . ورب كلمة تجدها في العربية واليونانية فنظن أن أصلها يوناني وهي في الحقيقة عربية أو سامية . وقد ضرب الأب أنساتوس ماري الكرملي أمثلة كثيرة لهذا في بحثه المعنون « تناظر العربية واليونانية » الموجود بمجلة مجمع اللغة العربية . الجزء الأول .

٣ - أن اللغة المصرية الحديثة ناج احتكاكها بلغات أجنبية كثيرة مثل اليونانية والتركية والفارسية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية ، ولاشك أن كلًا من هذه اللغات قد ترك آثاره عليها . ومن أجل هذا فإن الكلمات غير العربية المستعملة في المصرية الحديثة لا يمكن ردها إلى القبطية إلا بعد استبعاد آثار اللغات السابق الإشارة إليها .

٤ - أن كثيراً من المصادص التي تتميز بها عربية مصر عن سائر العربيات مرده أسباب أخرى غير النفوذ الأجنبي وغير التأثير القبطي مثل

(١) انظر كتاب تفسير الألفاظ الدستية في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحسبه للقس صربا العتيبي ص ٣٥ .

التطور الطبيعي للغة ونفوذ اللهجات العربية . ومن الثابت تاريخياً أن القبائل العربية التي وفدت إلى مصر كانت كثيرة ومتنوعة وأنها حملت معها سمات لهجاتها وخصائصها . وكثير من هذه السمات والخصوصيات لم يسجل ولم يدرس ، وبالتالي فمعروضنا به محدودة أو معدومة . ورب ظاهرة نظن أصلها القبطي يرجع أصلها إلى هجية عربية ، أو يمكن ردها بعد التدقيق إلى قبيلة عربية معينة ، على نحو ما سنذكر فيما بعد .

٥ - أن درجة تأثير اللغة القبطية على عربية مصر قد تفاوتت من مستوى لغوى إلى مستوى آخر ، وربما من كاتب إلى كاتب ومن متحدث إلى متحدث . ولذلك في دراستنا سنقسم المستويات اللغوية إلى ثلاثة . ونعالج كل منها على حدة . هذه المستويات هي :

(أ) المستوى الأدبي ، أو اللغة الكتابية للأدباء ، وهذا يتمثل في كتابات كبار الأدباء الذين شغلوا مناصب رؤساء دواوين الإنشاء ، والتي كانت تتبع مباشرة الوالي أو الخليفة . كما يتمثل في كتابات المتخصصين في اللغة العربية وأشعار الشعراء التقليديين ورجال الأدب بعامة .

(ب) المستوى نصف الأدبي ، أو اللغة الكتابية لغير المتخصصين . وهذا المستوى تمثله كتابات صغار الكتاب وموظفي الحكومة في تسجيلهم للوثائق وكتابتهم للعقود ونحو ذلك . كما تمثله كتابات غير المتخصصين الذين خلقو كتابات باللغة العربية دون أن يتحققوا مستوى رفيعاً في تعلمهم اللغة العربية . والأمثلة على هذا المستوى قد حفظت لنا في شكل وثائق من أوراق البردي . كما حفظت في شكل مؤلفات وصلتنا بما كتبه المؤلفون الأقباط باللغة العربية مثل سويرس بن المفع وسعيد بن بطريق .

(ج) المستوى العامي ، أو مستوى لغة التخاطب . وبالنظر إلى التأثير القبطي ، فإننا قد اعتبرنا كل الآثار القبطية الموجودة في لغة الكتابة

هذه الفترة – اعتبرناها موجودة كذلك في لغة الحديث . كما اعتبرنا الآثار القبطية الموجودة في لغة الحديث الآن تمثل الآثار القبطية التي كانت موجودة في فترة دراستنا ، إذ أننا نفترض أن هذه الآثار إنما ترجع إلى القرون الأولى للهجرة حينما كانت اللغة القبطية لا تزال لغة حية متكلمة ، وحيثما كان لها تأثير على اللغة العربية .

٦ – أنت في دراستنا للأثر القبطي ستفصل بين ثلاثة أنواع من التأثيرات وسنحاول أن نتبع كلًا منها على حدة . أما هذه الأنواع الثلاثة فهي :

(أ) التأثيرات الصوتية .

(ب) التأثيرات النحوية والصرفية .

(ج) التأثيرات في مجال المفردات .

وإليكم التفصيل :

## (أ) التأثير الصوتي

من الصعب أن نتبع التأثير القبطي على الأصوات في لغة الكتابة على مستويين الأول والثاني ، وهذا فسقير حديثنا على المستوى الثالث ، وهو مستوى لغة الخطاب .

لاشك أنه من أهم الصعوبات التي تصادف المتحدث بلغة أجنبية ، نطقه للأصوات غير المألوفة ، أو غير الموجودة في لغته . ويزداد الأمر صعوبة إذا بدأت المحاولة في سن متأخرة بعد تعود الجهاز النطوي النطق بطريقة معينة . ولهذا فنحن نتصور أن الوضع في المرحلة الأولى من الاختلاط كان هكذا : يتحدث العربي بطريقته الخاصة غير المشوبة بعنصر أجنبي ، أما القبطي الذي تعلم اللغة العربية فكان يتحدث بلهجته مخلوطة بلكته أجنبية ، أو بعبارة أخرى

كان « يقطط » نطقه العربي . ومع ذلك فنحن نتصور أن نطق القبطي للغة العربية لم يتخذ في يوم ما مقاييساً للغة الحديث ، ولم يقبل كنموذج للصواب اللغوي . والسؤال الآن : هل تركت اللغة القبطية أى آثار على الناحية الصوتية للغة الحديث بحيث صارت هذه الآثار حقيقة مسلماً بها ، ودخلت لغة الخطاب العامة . وأصبحت لا تثير انتباه المتكلمين . ولا يشعر بغرابتها أو شذوذها السامعون ؟

يجيب بعضهم عن هذا السؤال بالإيجاب . ويصررون أمثلة على هذا التأثير . ولكن بالفحص الدقيق يتبين خطأ هذا الرأي ، وعدم صحة الأمثلة التي ذكروها . وما قيل في هذا الموضوع إن العربية الصعيدية تنطق صوت « الحيم » بقيمة الصوتية القبطية . فهي تنطقه [ كـما ينطق في اللغة القبطية وبصورة مختلفة عن نطقه في كل الأقطار الأخرى المتكلمة باللغة العربية (١) ] . ولكن الحقيقة أن نطق الحيم الموجود بين عامتي الصعيد يعكس — على ما حقق دى لامى أولىرى — أثراً بدوياً لا أثراً قبطياً . وقيل كذلك إن نطق القاف جـما غير معطشة في لغة الصعيد حدث بتأثير النطق القبطي للرمز K الذى يمثل القيمة الصوتية للرمـز ق ، والذى كثيراً ما لفظه الأقباط جـما غير معطشة (٢) . وهذا أيضاً غير صحيح ، لأن نطق القاف جـما غير معطشة يقع كذلك — كما أثبتت دى لامى أولىرى — في حديث البدو السوريين وبدو الجزيرة العربية في جدة ومكة ونجد .. وأجزاء من فلسطين والعراق .. وهذا فهو اتجاه بدوى يعطى دليلاً على استقرار قبائل بدوية في مصر العليا في العصور الوسطى ؛ فهو — مرة أخرى — خاصة بدوية وليس خاصة قبطية :

وقيل إن نظام أصوات العلة الإضافية المستعملة في عربية مصر اليوم إنما هو نتيجة لنفوذ اللغة القبطية ، فقد حدث نتيجة لغنى التعبيرات القبطية بأصوات

(١) صبحى : Common Words ص ٢٢ .

(٢) صبحى : قواعد اللغة المصرية القبطية ص ١٩ .

الصلة - ولا سيما الأخيرة - أن أصبح المصريون حين يتكلمون العربية يدخلون في كلامهم أصوات علة مساعدة أو مختلسة في حالة اجتماع عدد من حروف السواكن وذلك في جملة مثل شغل مين دا ؟ إلى تنطق؟ min da (i) (١) Shughl وفي رأينا أن هذا التفسير لهذه الظاهرة خاطئ، فإن ما حدث كان مجرد جلب حركة صغيرة أو نصف حركة للتخلص من النقاء السواكن نتيجة للغاء ظاهرة الإعراب في لغة الحديث . أو بعبارة أخرى للتخلص من وقوع المقطع سع س (٢) وسطًا حيث إن وقوعه مقيد بكونه المقطع الأخير (٣) . وبذلك تحولت الجملة من سع س / سع س / سع إلى سع س / سع / سع . وهكذا نرى عدم وجود أي أثر قبطي في ذلك وإنما هو تغيير لمواصفة طبيعة اللغة العربية .

وهناك أمثلة أخرى يحمل اشتتماطها على نماذج للتأثير الصوتي للغة القبطية على عربية مصر قد حددت بعد دراسة مقارنة لأصوات اللغة القبطية والعربية الفصحى والمصرية الدارجة . وقد وجد أن من الخصائص الصوتية التي توجد في القبطية والمصرية الدارجة دون العربية الفصحى ما يأتي :

- (أ) استعمال الفونيم (:) = پ .
- (ب) تسهيل صوت العين .
- (ج) عدم وجود الصوت ث (٤) .

(١) Prince ص ٢٩٦ .

(٢) س = ساكن Consonant وع = علة Vowel .

(٣) انظر Mitchell في : Prominence ص ٣٦١ ٦ ٣٧٥ .

رد ، أيوب في التطور الم奴ي ص ٨٩ .

(٤) كمة فونيم Phoneme مصطلح يراد به الوحدة الصوتية المستفادة التي قد تضم صوتًا واحدًا أو عدة أصوات متشابهة يتوقف استعمال كل منها في الحال على موقعه في الكلمة وعلى الأسر تجاوزه له .

(٥) بشائر : Notes وصحي : قواعد اللغة المصرية ص ١٦ .

ولكن الظاهرة الأولى ليس مردّها اللغة القبطية بدليل اختفاء التفرّق بين الرمزين بـ و بـ في القبطية و نطقهما كما تنطق الباء العربية في المفهومية والديموتيقية أى قبل تكوين اللغة القبطية<sup>(١)</sup>. ولهذا فنحن نرى أنها ظاهرة حديثة النشأة، ولم تكن موجودة في الفترة التي ندرّسها وأنّها دخلت عربية مصر مع النفوذ الأوروبي للحدث.

وأما الظاهرة الثانية فنرى أنها – من ناحية – تطور حديث يلي فترة الصراع بين القبطية والعربية ، ومن ناحية أخرى أنها نتيجة التسهيل بإيدال الصوت الساكن الحالى إلى صوت لين مماثل<sup>(٢)</sup>. أما أنها تطور حديث فلغيابها في جميع وثائق البردي إلى بين أيدينا . وعلى ما حفظه البروفسر جروهمان فإن الصيغة العددية التي كانت مستعملة في الوثائق هي حد عشر وخمس عشر وست عشر<sup>(٣)</sup>... وأما أنها نتيجة التسهيل إلى صوت لين مماثل فإن من الثابت صوتياً وجود علاقة بين صوت الخلق والفتحة . وفي ذلك يقول الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس : « إن أصوات الخلق تناسب في الغالب وضعًا خاصًا للسان يتفق مع ما نعرفه من وضعه في الفتحة<sup>(٤)</sup> ». وما الألف في حد عشر وخمس عشر إلا فتحة طويلة . ويفسر الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أبوب هذه الظاهرة قائلاً : « أما العين فالظاهر أن المصرية تميل إلى التخفيف من درجة احتكاكها وذلك يجعل فتحة مخرجها في الحنجرة أكثر رخاؤه واتساعاً . وتکاد تكون العين القاهرة تقارب الحركة لهذا السبب<sup>(٥)</sup> » .

وأما اختفاء الصوت ث من لغة الحديث فواضح – من وثائق البردي – أنه موغّل في القدم ، وأنه تحول تم في القرون الأولى . ومع ذلك فلم يكن

(١) صبحى : قواعد اللغة المصرية ص ١٨ ، و Common Words ص ٢٣ .

(٢) From the World ص ٩٦ .

(٣) من أمراز اللغة ص ٣٣ .

(٤) الطور النجوى ص ٧١ .

نتيجة تأثير قبطى وإنما نتيجة التححف من الأصوات العبرية في النطق كما حدث بالنسبة للصوت ظ الذي حل محله ض في مثل « احفظ » (وثيقة مؤرخة ١٠١ ) و ذاتى صارت د و نحو ذلك ، أو هو لهجة عربية كما ستحدث فيما بعد .

على أن وجود الصوت ث أو عدم وجوده في اللغة المصرية القديمة أمر مختلف فيه . فقد أثبتته البروفسر Plumley كصوت مستعمل في اللهجة القبطية الصعيدية حين ذكر أن الرمز ፲ ينطق ٢١ في حين أن الدكتور جورجى صبھى لم يثبته من بين أصوات القبطية حين ذكر أن هذا الرمز ينطق إما تاء أو طاء .

والنتيجة التي ننتهي إليها هي أن تأثير اللغة القبطية على عربية مصر في مجال الأصوات معادوم تماماً في لهجة القاهرة ، وإن كنا لا ننكر احتمال وجود بعض التأثيرات في نطق أبناء الصعيد بخاصة ولكن بدرجة محدودة جداً .

ومن المناسب أن نشير في ختام هذا الحديث إلى حقيقة هامة تتعلق بالمحطولة العربية التي كتبت بمعروف قبطية . فقد كانت تتوقع أن يظهر فيها تأثير الأبجدية القبطية على الأصوات العربية بأن تخفي الأصوات العربية التي لا يمكن تمثيلها برموز قبطية ، ولكن لم يحدث هذا ، إذ رأى الكاتب أن يمثل الصوت العربي برموز قبطي يمثل أقرب الأصوات إليه ، ثم يضع الرمز العربي أو جزء منه فوق الرمز القبطي . فعل ذلك مع صوت القاف إذ كتبه K ووضع فوقه الرمز ق . وفعل ذلك مع أصوات الحلق الثلاثة الحاء والخاء والعين فكان يمثلها بالرمز القبطي ع . ثم للتعبير عن الهاء يدعه كا هو ، وللتعبير عن الخاء يضع الرمز ح فوقه للتعبير عن العين بعض الرمز ئ (رأس العين) فوقه ... وهكذا .

## (ب) التأثير النحوى والصرف<sup>(١)</sup>

لا يوجد نفوذ قبطى على جانبي النحو والصرف في لغة الكتابة بشقيها ، ونعني بالنفوذ القبطى انتقال قاعدة نحوية أو نظام صرف معين إلى لغة الكتابة العربية . وقبول الكتاب لهذا التعبير الجديد واعتباره الأصل والقاعدة . وكل ما نجده - نتيجة لاختلاف نظام الجملة وقواعد التحوير بين اللغتين - أخطاء كثيرة في بعض المخطوطات العربية القبطية يرجع معظمها إلى الترجمة الحرافية من القبطية على أيدي أناس لا يجيدون اللغة العربية . وأبرز خطأ ظهر في هذه المخطوطات تذكر الكلمات وتأنيتها . فقد عوِّلت بعض الكلمات المذكورة على أنها مؤئنة إذا حدث أن كانت كذلك في القبطية . وكذا العكس . ومثال ذلك الكلمة الأرض التي هي مؤئنة في العربية ومذكورة في القبطية . وقد عوِّلت معاً المذكورة في بعض المخطوطات العربية التي كتبها مؤلفون أقباط . ويوجد كذلك كلمتان في القبطية للتعبير عن « الليلة » واحدة مذكورة والأخرى مؤئنة . ولكتاباً بعد الكلمة العربية ، الليلة ، تعامل معاملة المذكورة في بعض المخطوطات القبطية ربما حبها شاع استعمال الكلمة القبطية المذكورة . ومن أبرز الأخطاء كذلك استعمال المفرد بدل الجمع في تمييز العدد في نحو تسعة دينار ( بدلاً من

(١) استعارة الظواهر النحوية قضية حلانية بين المحدثين من النورين ، فيذكر whitneye يستكثن هذه ويقول : « لم يتعزز دارسو اللغات قط على تلك اللغة التي تتضمن مزيجاً من القواعد النحوية . ويشعر هذه اللغة بالنسبة لهم غلوضاً عجيباً ، بل هي أحد المستحيلات » . وينادي دينامي أو إبراهي بنفس الرأي إذ يقول : « لا توجد لغة بقواعد نحوية مختلطة » . أما يسبر من ذيرى أن في هذا القول شيئاً من المغالاة والإسراف . ويضرب عدة أمثلة على تأثير المآلات ببعضها البعض في هذه الناحية . وما يزيده هذا الرأي ما نعرفه في الصلة بين العربية والفارسية حين استعارات الفارسية طريقة الجمع العربية وجمعت عليها بعض الكلمات الفارسية . هذا إلى أن نظام الجملة في لغتنا الحديث قد تأثر إلى حد ما ببعض الأساليب الأجنبية ، ولا سيما في أسلوب الكتاب لمعاصري الذين زاروا بالثقافة الأوروبية ( انظر على وجه الخصوص « من أسرار اللغة » ص ٩٤ و ما يليها ) .

دمازير ( وأربعة ألف ) بدلاً من ( أربعة آلاف ) . ( مراد كامل : حضارة مصر ص ٧١ ) . ولكن مرة أخرى - لا يعد هذا ونحوه نفذاً قطعاً إذ ظل الناس ينظرون إليه على أنه لحن أو خطأ . ولم يكتب له حد القبول والشيوخ بين عامة الكتاب . نعم هناك أمثلة كثيرة في لغة الكتابة يتضح فيها أثر الأجنبي في استعمال اللغة ولكنها كلها يمكن أن ترد إلى عامل الميل الطبيعي إلى التيسير الذي مستحدث عنه فيما بعد . وليس فيها أي أثر لنفذاً قبطيًّا خاصًا .

أما في لغة الحديث فربما كان الأمر على خلاف ذلك . وهناك - على الأقل - ادعاءات بوجود هذا النفوذ . وستحاول الآن أن نتعرض لخصائص الغريبة التي تبدو في عربية مصر لترى هل تعكس نفذاً قبطياً أولاً :

( أ ) استعمال « ما » كسابقة prefix تفيد الأمر مثل : ما تكتب ( اكتب ) .

( ب ) استعمال « أ » بالإضافة إلى صيغة الشخص كسابقة مع الفعل الماضي مثل : أهو سمع .

( ج ) استعمال اسم الإشارة « دا » في وظيفة معينة في الجمل غير الفعلية مثل : دا أنا الملك .

( د ) تأثير أداة الاستفهام إذا كانت معمولاً مثل : رحت فين ؟

( د ) استعمال الصفة متبوءة بحرف الجر عن « بدلاً من صيغة التفضيل العربية العادية » مثل : هو كبِيرٌ على في مقابل هو أكبر من .

( ذ ) إلغاء صيغة المثنى واستعمال صيغة الجمع للمثنى والجمع كليهما مثل : الولدين زجعوا ،

( ز ) حذف حرف العطف في العدد مثل مية خمسة وعشرين بدلاً من مائة وخمسة وعشرون .

( ح ) تأثير اسم الإشارة عن المشار إليه مثل : الوادده في مقابل : هذا الولد .

أما الظاهرة الأولى فقد ذكرها الدكتور « بشای » دون أن يقدم لنا الدليل أو ما يشبه الدليل على التفوذ القبطي . ولا يمكن في نظرنا أن تجد ظاهرة غربية في عربية مصر لسارع فتنسبها إلى التفوذ القبطي . وأى قبطية في « ما » ؟ وأى قبطية في « تكتب » ؟ أما التركيب نفسه فيبدو أنه هو هو التركيب العربي المكون من « ما » النافية والفعل المضارع ، ويكون النفي قد خرج هنا عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر هو الاستنكار أو التوبيخ المدلول عليه بالتنعم المعين للجملة . فكأن الجملة تعني : لماذا لا تكتب ؟ ومفهوم هذا طلب الكتابة ، وهو ما يزدده التركيب « ما تكتب » . وربما كان أقرب إلى القبول أن نقول إن « ما » أداة استفتاح وهي « أما » ، ولكن على عادة السرعة والاختصار في الكلام قالوا « ما تكتب » وربما زاد الاختصار عن ذلك فقبل « متكتب » . وحتى على فرض جهلنا بأصله العربي فليس معنى ذلك الحكم بقبطيته . وما أكثر ما احتوت اللغة العربية على لهجات قديمة عرفنا أقلها وجهلنا معظمها . وما أكثر ما أغفل القدماء تسجيل اللهجات العربية لسبب أو لآخر . وقد كان كثير من هذه القبائل المتروكة لهجاتها من بين القبائل التي هاجرت إلى مصر واستوطنتها كما سنفصل الحديث فيما بعد .

وأما الظاهرة الثانية فقد ذكرها كذلك الدكتور « بشای » وهي — في رأينا — كسابقتها تتعلق بعربتها .

وأما الظاهرة الثالثة فقد ذكرها الدكتور « بشای » ومن قبله « ليبيان » . والتعبير في رأينا تبدو فيه الروح العربية الصرفية . إنه يبدو وكأنه صورة أخرى للتعبير « إنه أنا الله » الموجود في القرآن الكريم . فكأن « دا » هنا حلت محل « إن » و « ضمير الشأن » . وكان القائل « دا أنا الملك » يعني ما يعنيه قائل التعبير العربي : « إنه أنا الملك » . ثم لا معنى لقول بشای إن هذا التعبير يستعمل في الحال غير الفعلية ، فهو موجود في الفعلية كذلك . فكلنا نقول :

دا أنا قمت ، دا أنا كتبت .... الخ . وهذا التعبير – بعد هذا – موجود – كما حقق دى لاسى أولبرى – في عربية سورية وفي اللغة المطلية وغيرهما . أما الظاهرة الرابعة فقد كثُر القيل والقال فيها واعتبرها الدكتور « بشاي » تعبيراً جوهرياً في اللغة المصرية الدارجة نتيجة نفوذ قبطي . وقد سبقه إلى هذا الرأى Praetorius و Stern . وفي رأينا أن الباحثين الثلاثة لم يحالفهم التوفيق وأن القضية كالآتي :

١ – أن هذه الظاهرة موجودة في عربية سورية ، فهم يقولون الكتاب مدين ؟

٢ – هناك أمثلة وردت لهذا التأثير في العربية الفصحى . وإذا كان النحاة قد ألوها بما سموه بالتعليق وهو إبطال عمل العامل لغطأ لا تقديرأ فهذا لا يتنى وجود الاستعمال .

٣ – أن تأثير أداة الاستفهام ليس القاعدة في القبطية ، فقد ورد في المقدمة المسماة بالكتفافية في نحو اللغة القبطية للشيخ الوجيه القليوبى (وهي من كتب القواعد القبطية المعتمدة ومؤلفها من أوائل من كتبوا في نحو القبطية ) ، وهو من علماء القرن الثالث عشر الميلادى ) أن « أين » تقع قبل الكلام وبعده (ص ٣٥) وأن « متى » لا تأتي إلا مع فعل قبلها أو بعدها (من ٣٦) . كما ذكر أحكام « من » إذا تلتها نكرة أو معرفة (ص ٣٤) وذكر أن « كيف » يحسن أن يقع بعدها فعل (ص ٣٥) . وذكر الدكتور عبدالمحسن بكير في كتابه « قواعد اللغة المصرية في عصرها الذهبي » أن « من » و « ما » هما الصدارة (ص ٣٧ و ٣٨) .

٤ – أن القاعدة في العامية المصرية ليست تأثير أداة الاستفهام ، فنحن نقول : بين أخوك ؟ وأخوك بين ؟ كما نقول : مدين جيت ؟ وجيت مدين ؟ .

٥ – أن بعض الأمثلة التي تؤثر فيها الأداة مرجعها إعادة تنظيم الحملة وتغير هندستها نتيجة للتخلص من الإعراب . وأضرب لذلك المثال الآتي :

لتأخذ الجملة الفصحي : قابل محمد علياً . يمكننا أن نسأل عن المفعول فنقول : من قابل محمد ؟ وعن الفاعل فنقول من قابل علياً ؟ والفرق واضح بين الجملتين نظراً لوجود الإعراب . فإذا حولنا هاتين الجملتين إلى العامية المصرية فقلنا : مين قابل محمد ومين قابل على لم يكن هناك دليل على وظيفة كل كلمة في الجملة . ولهذا استعاضت العامية عن الإعراب بالموقعية فخصلت مين قابل على ؟ حين تكون ، مين ، في موقع الفاعل ومحمد قابل مين حين تكون ، مين ، في موقع المفعول . وهكذا يتضح غياب التفوه القبطي في هذه الظاهرة .

أما الظاهرة الخامسة فقد أشار إليها « ليهان » . واعتبرها نتيجة نفوذ قبطي . وأشار إليها « بشاي » ولكنه تشكك في كونها نتيجة نفوذ قبطي . ومن المعروف أن اللغة المصرية القديمة ليس فيها صيغة خاصة بالتفضيل النسبي أو التفضيل المطلق . ويعبر عن التفضيل النسبي بخواص آخر الذي يسبق الاسم المفضل عليه (١) .

ولكن مرة أخرى ليس هناك أي دليل قد يشتم منه إرجاع هذه الظاهرة في العامية المصرية إلى أصل قبطي . والأمر في رأينا يحتاج إلى التفصيل الآتي :

١ - تعبير العامية المصرية عن التفضيل بوسائلين ، هما : أفعل + من ، أو الصفة + عن . ويبعد أن الاتجاه أول الأمر كان نحو إثبات الصيغة الأولى . كما يبدو منخطوطات القرن الرابع عشر المكتوبة بعروف قبطية حيث جاء فيها ، صار أردا من الكل ، ثم نحو الاتجاه رويداً رويداً إلى الصيغة الثانية . ولا يمكننا أن نقطع برأى حول أيهما أكثر شيوعاً في الاستعمال الحديث . فإنه يفهم من كلام دى لاسى أولى أن الصيغة الثانية أكثر شيوعاً ، وبفهم من كلام Galtier أن الصيغة الأولى أكثر شيوعاً .

(١) دكتور بكر : قواعد اللغة المصرية ص ٤٠ - ٤١ .

٢ - استعمال الصفة + عن له نظير في اللغة العربية . تلك اللغة التي تكشف أحياناً عن خصائص تتفق مع اللغة العربية المصرية الدارجة . ومن أجل هذا افترض دى لاسى أولىرى أن صيغة « أفعل من » قد تكون أحدث في الاستعمال من الصفة + عن . ومعنى هذا أن التعبير الثاني كان مستعملاً في القدم . وظل عاكضاً به في العربية . كما احتفظت به بعض اللهجات العربية ، واستمر في شكل بقايا في اللهجات العربية الحديثة .

٣ - ذكر الدكتور عبد الحسن بكير أن هذا الاستعمال مطرد كذلك في السريانية والأكادية وكلاهما سامي .

٤ - ذكر دى لاسى أولىرى أن استعمالاً مماثلاً موجود في فجات أخرى حيث لا يوجد نفوذ قبطي في مراكش يستعملون الصفة + على . وفي عمان يستعملون أفعال + عن .

وأما الظاهرة السادسة فلم يشر إليها أحد . ولكنها قد ترد على البال نتيجة لما نعرفه عن الأبعة القبطية من استعمالها ضمير أ واحداً للمثنى والجمع (١) . ولكن هذه الظاهرة هي الأخرى عربية أصلية ، واستخدام ضمير الجمع للمثنى معروف عند العرب قديماً . وورد في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : هذان خصمان اختصموا .

وأما الظاهرة السابعة فقد لفت نظري إليها ما وجدته في أوراق البر دى من حذف واو العطف في جملة نحو « مئة ستة وأربعين درهم » مع ما ذكره الدكتور عبد الحسن بكير من أنه لا توجد أدلة عطف في اللغة المصرية القديمة . بل تأثر الكلمات المعطوفة بعضها يتلو البعض الآخر ( ص ١٧ ) . ولكن يعلب على الفتن أن هذا الحذف كان يقصد التخفيف من تكرار الواوات وأن هدفه هو التيسير وتوفير الجهد .

---

(١) المقدمة لقاموس س ٢٦٥ و ٢٦٦ ، ومقدمة ابن الصعيري ص ٩٣ .

وأما الظاهرة الثامنة ، فقد لفت النظر إليها أنها خاصة من خصائص المصرية العربية من بينسائر اللهجات كما صرخ دى لاسى أولبرى . ولا يمكن أخذ أي نتيجة من الصيغة « دا » لأنها موجودة في « عمان » وشمال إفريقيا ( ما عدا تونس ) وغيرها . وقد صرخ سيبويه نفسه بأن هذه ليست جزءاً من اسم الإشارة وأنها حرف تنبيه . ولكن موقع اسم الإشارة هو المهم في هذا المقام . فمن المعروف أن المصرية القديمة تضع اسم الإشارة بعد الاسم (١) ( أما في القبطية فاسم الإشارة يسبق الاسم ) ، فهل أثر هذا على وضعه في عامية مصر ؟ مع وجود هذا الاحتمال فإننا نرى أن هذا تطور داخلي بحت لا أثر فيه للعامل الخارجي أو الأجنبي . وقد ذكر الدكتور عبد الحميد عابدين أن اسم الإشارة يأتي للتبعية الوصفية بعد المشار إليه في طحة السودان كذلك ، فيقال : الراجل دا ، وقد يتقدم على المشار إليه . ومن الأمثلة التي احتفظت فيها عامية مصر بموضع اسم الإشارة قبل المشار إليه قولهم : « دلوقت » التي تتركب من اسم الإشارة + كلمة الوقت . وفي رأيي أن وضع اسم الإشارة بعد المشار إليه قصد به التيسير وتجنب التشعيّبات الموجودة في اللغة الفصحى . انظر مثلاً الجملة : أخوك هذا ... في الفصحى حيث لا يصح أن يتقدم اسم الإشارة فيها فيقال هنا أخوك ... ، والجملة هنا الأخ ... حيث يتقدم اسم الإشارة . أما في العامية فيقال فيما كليهما : أخوك ده ... والأخ ده ... بتوحيد مكان اسم الإشارة بدون نظر إلى نوع المشار إليه .

ونخلص من كل هذا إلى أنه ليس هناك دليل أو شبه دليل على وجود أثر قبطي في مسائل النحو والصرف . وكل ما هناك قد يكون مجرد شبكات أو احتمالات ليس جانب الإيجاب فيها أقوى من جانب السلب .

(١) دى لاسى Notes ص ٢٥٣ .

## (ج) التأثير في مجال المفردات

لا يستطيع أحد أن ينكر أثر القبطية على عربية مصر في مجال المفردات ، ولكن شقة الخلاف واسعة بين الدارسين حول تقدير مداه . وفي رأينا أنه ينبغي أن يشخص على حدة كل مستوى من مستويات اللغة الثلاثة التي سقطت أو أشرنا إليها . لأن آثار هذا العامل تختلف من مستوى إلى مستوى .

فإذا نظرنا إلى المستوى الأول . وهو المستوى الأدنى وجدنا أنّر هذا العامل ضعيفاً جداً لا يتجاوز بعض كلمات دخالت لغة الكتابة ، وأصبحت تردد في أساليب المثقفين والمتخصصين . وقد حالف الحظ بعض هذه الكلمات فاقتحست اللغة الفصحى المشتركة ولم تعد ينظر إليها على أنها خاصة مصرية أو لفظة محلية . ومن أمثلة ذلك :

١- كلمة « تليس » التي تعنى زكية أو كيساً كبيراً ، وقد وردت في كتاب « المكافأة » لابن الديمة . ويبدو أن هذه الكلمة قد أصابها التعرّيف فأعتبرت عربية ، بدليل أنها لا تجد إشارة إلى أصلها القبطي في كتب اللغة . وقد فسرها ابن منظور تفسيراً مختلفاً إذ قال في لسان العرب : « التلبة وعاء يسوى من الخوص شبه قمعة وهي شبه العيبة التي تكون عند العصارين » . وقد أشار إلى الأصل القبطي لهذه الكلمة العلامة القبطي أفلوديوس ليب في كتابه « مجموعة الألفاظ القبطية المتداولة باللهجة العربية العامية » . والباحثة القبطية جرجس فيلؤثاوس عوض وشرحها بأنّها الزكية التي توضع فيها الحبوب وتختوى على الشئ عشرة كيلة وصارت الآن اسمها عاماً للزكية . كما ذكرها الدكتور صبحى في كتابه :

Common Words in the spoken Arabic of Egypt of Greek or Coptic Origin.

٢ - كلمة « طوبة » التي استعملها عمر بن الخطاب في قوله « ولا تدخلن القبر خشبة ولا طوبة » . واضطربت المعاجم العربية في بيان أصلها الأجنبي ، فقبل هي شامية وقيل رومية وقيل إنّها جاءت بلغة أهل مصر . وقد ذكر

ابن منظور كذلك أن الشافعى قد استعملها . وكلنا نعرف أن الشافعى أمضى فترة طويلة من عمره في مصر وألف بها بعض كتبه . أو أعاد كتابتها . وقد ذكر أصلها القبطى الدكتور جورجى صبحى .

٣ - هذا بالإضافة إلى أسماء الأعلام على اختلاف أنواعها .

أما المستوى الثانى وهو مستوى الكتابة لغير المختصين أو المستوى نصف الأدبي فتتردد فيه بكثرة نسبة الألفاظ الأجنبية ذات الأصل القبطى . وأحياناً اليونانى أو اللاتينى . وسبب ذلك واضح . وهو أن معظم صغار المؤطفين في تلك الفترة – وبخاصة في جزئها المبكر – كانوا يحملون أسماء قبطية مثل مينا بن شنودة وسوبرس بن زكريا . مما يعني أنهم لم يكونوا مسلمين . وأنهم من تلك الفئة التي تعلمت اللغة العربية لتحتفظ بعناصرها أو لتنفتح أمامها أبواب الرزق . ومعنى هذا أن لغتهم العربية ليست خالصة . وأن معجمهم اللغوى ولا شك متأثر بلغتهم الأصلية .

وإن نزول اللغة القبطية في هذا المستوى قد بدأ في شكل الاحفاظ باسماء الشهور القبطية حتى ولو كان العام مكتوباً بالتاريخ الهجرى مثل ، هاتور من عدد القبط سنة ٢٧٣ هجرية ، و ، توت من سنة ٢٣٣ هجرية ، ومن الطريف أننا نجد بعض الناس – في ذلك الوقت – يحملون أسماء أحدهما عربي والآخر قبطى مثل ، أنها اعتمدت صغاراً بالعربية ، وأسمها بالقبطية دجاجة أربينة . ومن الكلمات القبطية التي وردت في وثائق البردي :

١ - كلمة ، بقط ، يعني عقد إيجار .

٢ - وكلمة ، حالوم ، نوع معين من الحين .

٣ - هذا إلى جانب أسماء الأعلام بمختلف أنواعها .

أما المستوى الثالث وهو مستوى الخطاب أو لغة الحديث العادي . فعل الرغم مما يتوقع من قوة التفوذ القبطي عليه فإن النتائج النهائية تتفقى بغير ذلك . نعم إن تفوذ القبطية في هذا المستوى أكثر منه بكثير في المستويين السابقين . ولكنه - مع ذلك - محدود . وكثير من آثاره محصور في مناطق ضيقية أو أماكن نائية، وبخاصة في الصعيد . ولذا فهي غير معروفة لكثير من المصريين . وإذا نحن قمنا بتصنيف هذه الكلمات الأجنبية التي يرجع لكثير منها إلى أصل قبطي وجدنا معظمها يندرج تحت الرموز الآتية :

- ١ - كلمات خاصة بالكنيسة وبالطقس الديني وجاهة الرهبة مثل أبا وأسقف وبطريق وبطريق وأبرشية ( ولاية الأسقف ورعيته ) . ولكن معظم كلمات هذا النوع مقترن من اليونانية . ولا يمكننا أن نقطع أكان انتقال هذه الكلمات إلى اللغة العربية تم في مصر أم في سوريا .
- ٢ - كلمات تدل على أنواع من الطعام غير معروفة عند العرب مثل « بصادرة » . للدلالة على الطبق الشعبي المعروف . وهي في القبطية مركبة من كلمتين . ومعناها الفول المصري المطبوخ . وقول « مدمس » إذا نحن قبلنا أن أصلها قبطي . وعيش « بتاو » ; وجينة « حالوم » ...
- ٣ - أنماط لأنواع من السمك أو الحيوانات المصرية مثل « ملوحة » . و « بورى » . و « شلبة » . و « أنومة » . و « تمساح » . و « بس » المستعملة لزجر القطة ومعناها في المصرية القديمة القط .
- ٤ - أنماط بنيات أو آنية أو مكاييل معينة كانت مستعملة في مصر مثل « برسيم » . و « سريس » . و « شكوريا » . و « سقط » . و « بلع » . أمهاط « . و « بلاص » . و « ماجور » . و « إرددب » . و « ويبة » .

و « مترد » للوعاء الذي يوضع فيه الدلن وقت حلبيه . و معناه بالقبطية محل الدلن (١) .

٥ - أسماء أمراض أو وصفات بلدية مثل الكلمة « شوطة » ! التي تستعمل للدلالة على الوباء . و « سنته » التي تستعمل للدلالة على الورم الصغير الذي إذا قطع أدمن ثم نما ثانية ، وكلمة « واوا » التي تستعمل مع الأطفال للدلالة على آلم أو جرح أو حرق .

٦ - أسماء الأعلام مثل الشهور القبطية الشائع استعمالها حتى الآن في القرى المصرية . وأسماء البلاد مثل صهرجت . وسنهور . وسنجرج ، وصفط . وأرمنت ، وسمنود ... الخ .

وأسماء الأعلام كثيرة جداً، وإن كان من الصعب أن نعدها من الكلمات المفترضة أو تسبها إلى لهجة عربية معينة . نعم هناك أسماء عامة مدرجة ضمن بعض أسماء المكان . وما زالت مستعملة في عربية مصر مثل الكلمة « باب » التي تعني مقبرة (ولا علاقة لها بالكلمة العربية باب) ، ولا زال المصريون يطلقون اسم « باب الملوك » على إحدى مقابر الملوك عند « طيبة » . ولكن حتى هذه من الصعب عدها ككلمة مفترضة لأنها لم تعمم في الاستعمال ، ولم تصبح في عرف الناس مرادفة لكلمة « مقبرة » . ولا شك أن جمهور المتكلمين لا يفطنون إلى معناها القديم في القبطية .

وهناك عدد آخر من الكلمات الشائعة في عامية مصر ولها أصل قبطي مثل « سيجه » ل اللعبة الشعبية المعروفة ، و « ياباي » التي يستعملها الأطفال بخاصة .

(١) لا يمكننا أن نجزم بالأصل القبطي لهذه الكلمة ، إذ هناك احتمال كبير أن تكون الكلمة عربية على ماسترها ، فيما بعد .

(٢) قد يقال بعربة هذه الكلمة وأ أنها من « الإشارة » بمعنى الإهلاك والاحتراق ، وأن أصلها « شيمة » ثم حررت إلى « شوطة » .

حيثما يرون ما يفزعهم ، ومعناها الحرف في القبطية « بومة » أو « غراب الليل » ، و « لبنة »<sup>(١)</sup> « قصب » ، و « بخ » حيّا يريدون تخويف شخص ومعناها في القبطية « الشيطان » ؛ و « تف » يعني بصن<sup>(٢)</sup> ، و فجل « ورور » ، وطلع « بوش » ،<sup>(٣)</sup> و « بح »<sup>(٤)</sup> يعني النهي ، و « ممة »<sup>(٥)</sup> و « امبو » في لغة الأطفال . و « جاي » في الاستغاثة أو الشكوى .

وموضوع تبادل المفردات بين اللغات أكثر مستويات اللغة شيوعاً ، لأنه يتصل بتبار الثقافة والعادات أكثر من انتقاله بأصل اللغة وجواهرها . وكم من لغة عاشت وتعيش بغير دفات أجنبية ومع ذلك تظل محتفظة بجنسها المميز ، مثل « الأزدية » التي اشتقت مفردات كثيرة من العربية والفارسية ، ولكنها قطعاً لمحجة من اللغة الهندية . ومثل اللغة المالطية التي تعرضت لأنماط إيطالية قوية في مفرداتها . ولكنها ما تزال ينظر إليها على أنها لمحجة عربية .

ونحب قبل أن نختتم هذا الفصل ، أن نتعرض بشيء من التفصيل للدعوى العربية التي يكتب الدارسون الأقباط من ترددها ، وهي إقراض القبطية العربية مصر بأمداد ضخمة من المفردات . ونقتبس أولاً ما قاله الدكتور

(١) من المستبعد أن تكون الكلمة عربية وأن تكون كما يرى بعضهم مأخوذة من مادة « ايك » من قوْم رأيت لبـا كة من الناس أو لبيكـة ، يعني جماعة ثم أبدات الكاف شيئاً للخلف .

(٢) ربما كان الأقرب إلى الصواب القول بأن الكلمة ترجع إلى أصل فارسي أو تركي . لأن « تف » و « نفو » كلّيـة تركـية وفارـسـية يعني لـعـاب أو رـيق . وربـما كان أصلـها سـريـانـيا .

(٣) ترجمـةـ فيـ الدـارـسـيـةـ كـلـمـةـ « بـوجـ »ـ وـمـعـنـاهـ فـارـغـ أوـ خـالـ أوـ أـبـوـفـ .ـ وـلـعـ الكلـمةـ مـأـخـوذـةـ مـنـ هـذـاـ الأـصـلـ الـفـارـسـيـ .ـ

(٤) في السريانية ترجمـةـ كـلـمـةـ « بـحـ »ـ يـعـنـىـ خـغـ أوـ جـفـ أوـ ذـبـلـ فـنـ الـهـنـيلـ أنـ تـكـونـ

« بـعـ »ـ العـرـبـيـةـ لهاـ أـصـلـ سـريـانـيـ .ـ وـهـنـاكـ اـسـهـالـ آـنـ تـكـونـ الكلـمـةـ عـرـبـيـةـ كـاـسـتـفـضـلـ فـيـ بـعـدـ .ـ

(٥) هناك احتمـالـ قـويـ أنـ أـصـلـ هـذـهـ الكلـمـةـ تـرـكـيـ .ـ فـنـ التـرـكـيـ يـقـالـ لـلـأـطـفالـ « مـهـ »ـ وـمـعـنـاهـ الثـدـيـ .ـ وـرـبـماـ كـانـتـ الكلـمـةـ سـكـاـيـةـ صـوتـ حـرـكـةـ الفـمـ عـنـهـ الـأـكـلـ .ـ

جورجي صبحى في هذا المخصوص من مثل : « بفحص المفردات المستعملة في عامية مصر يدخل الشخص لاكتشافه عدداً كبيراً من الكلمات التي يمكن بسهولة أن ترد إلى أصل مصري قديم أو قبطي ». وبعد أن ذكر قائمة طويلة من هذه الكلمات عقب بقوله ، وهناك مئات أخرى من الكلمات الشائعة في لهجة مصر التي لا تفهم في سائر البلاد العربية ولم ترد في المعاجم الكلاسيكية ». فهل هذا صحيح حقاً ؟ وهل عامية مصر متاثرة بالمفردات القبطية إلى هذا الحد الكبير ؟ وهل الدكتور صبحى - وغيره - على حق في القوائم الطويلة التي ذكروها بهذا المخصوص ؟ دعنا أولاً نلتقي نظرة فاحصة عليها ، ونبين رأينا في بعض مفرداتها لفظاً لفظاً قبل أن نصدر حكمنا العام في الموضوع . تتضمن قوائم الكلمات :

١ - لبؤة : والكلمة ومادتها موجودتان في المعاجم العربية ؛ وليس فيها إشارة إلى أصلها الأجنبي .

٢ - مصطبة : والكلمة عربية صرف . قال الأزهري : سمعت أعرابياً من بنى فزاره يقول خادم له : ألا وارفع لي عن صعيد الأرض مصطبة أتيت عليها بالليل . فرفع له من سهلة شبه دكان مربع ، قدر ذراع من الأرض ؛ يتقى بها من الهوا بالليل . قال وسمعت آخر من بنى حنطة منها المصطبة بالفاء .

٣ - عزبة : والكلمة كذلك عربية خاماً ودماً . وهي وإن لم ترد بتصها في كتب اللغة فقد وردت مادتها وهي تدور حول الزرع والكلأ والرعى . وما جاء في لسان العرب : أرض عزوية بعيدة المرعى - العازب من الكلأ البعيد المطلب - المُعزب طالب الكلأ - كلأ عازب لم يُرِعْ قط - أعزب القوم إذا أصابوا كلأ عازباً - أعزب إبله وعزب إبله بيتهما في المرعى .

وهكذا تبدو من الاستعمالات المختلفة لهذه المادة عربية الكلمة ، عزبة . وحيث استعمالها في معنى قريب جداً مما ورد في المعاجم .

٤ - ففت : وفي اللسان : فت الشيء دقه وقيل كسره بأصابعه .  
والفت أن تأخذ الشيء بابصبعك فتصيره فتاناً أى دققاً . وكل ما في الأمر  
استعمال صيغة مضعنف الرابعى بدلاً من مضعنف الثالثى ، وتلك ظاهرة  
شائعة في عامية مصر للدلالة على المبالغة واستعمال الحيلة كقوفهم ددق ،  
وبصبع ، وشمثم ... الخ .

٥ - صيت : والكلمة عربية وردت في شعر ليد (١) وفي الحديث  
النبوى الشريف (٢) .

٦ - مدة : وفي اللسان: أم بالخرج صارت فيه مدة ، والمدة ما يجتمع  
في الخرج من القبح .

٧ - (رجل) مهلوس : والكلمة تحريف للفظ العربي مهلوس  
من قوفهم رجل مهلوس العقل أى مسلوبه .

٨ - هوش : وفي اللسان: الهوشة الفتنة والهيج والاخطراب  
والخرج والاختلاط وكل شيء خلطته ففده هوشه .

٩ - شوط : الكلمة محرفة عن النطق العربي شوط . وقد رواه  
الأصمعي وورد في الحديث النبوى وفي حديث الطواف: رمل ثلاثة أشواط .

١٠ - رف (الحاجب) : وفي اللسان رف النبات اهتز . ورفت عينه  
ترف اختجت ، وكذلك سائر الأعضاء .

١١ - غنمخم (في وصف الشخص المذكور) : وفي اللسان: الخامخة  
ضرب من الأكل قبيح ، والخامخة مثل الخنخة . ثم ذكر في مادة حنن:  
الذين صوت يخرج من الأنف ، وقال الجوهري هو كالبكاء في الأنف

(١) وعقوله : وكم مثمن من ماله حسن سينية لأنماه في كل مبدى وعصر

(٢) وهو قوله صلى الله عليه وسلم : ما من عبد إلا له صيت في السماء .

أو الفسحك في الأنف . وقال الفصيبح من أغرب بني كلاب : **الخنين سدد في الحباشيم** . والعلاقة واضحة بين المعنيين مما يجعلنا نقطع بعريبة اللقظ .

١٢ - **عيَل** : وفي اللسان : عيال الرجل وعيَلُهُ الذين يتكلف بهم ، وقد يكون العيَل واحداً عن كراع . ويبدو أن التطور الذي لحق هذه الكلمة على يد المصريين كان هو نقلها من صيغة الجمع إلى صيغة المفرد بدليل أن صاحب اللسان نقل هنا الاستعمال عن كراع وحده، وكراع من علماء اللغة المصريين كما سبق أن أشرنا .

١٣ - **مسختم** : وفي كتب اللغة : **السخمة** : السواد ، والأسخم الأسود ، والسخام : سواد القدر ، والسخام : الفحم ، والسخام : السواد . ومنه قبل سخَّم الله وجهه أى سوده . وروى عن عمر في شاهد الزور : يسخَّم وجهه أى يسود .

١٤ - « أوا » و « أم أوى » : وهما – في الحقيقة – تحريف الكلمتين العربيتين أوق وأم أويق . يقال : آق فلان علينا إذا أتانا بالأوق وهو الشؤم . وسميت البومة « أم أويق » لشاؤهم منها .

١٥ - **برَا** ( كفوفهم اخرج برا ) : والكلمة عربية صحيحة . فالبر نقىض الكن ، والعرب تستعمله في النكرة تقول : جلست برا ، أو خرجت برا ، إذا خرج إلى البر والصحراء . ولا يطعن في عربية الكلمة ما يقوله بعض اللغويين من أنها – في ذلك التعبير الخاص من كلام المؤذنين ، ولم تسع من فصحاء العرب بالبادية .

١٦ - **نف ونفافة** : وهي عربية مأخوذة من مادة « **النف** » مع إبدال الغين فاء . والنفف ما يخرجه الإنسان من مخاط من أنفه .

ولا نريد أن نخبر صفحات أكثر من هذا لإثبات عربية عشرات أخرى من الكلمات التي أدعى أصلها القبطي ، ولذا سنكتفي بالإشارة إلى عدد آخر منها وهو :

تبّوت - معدية - هرّ من خوفه - با مطرة رُخْي - دبس - مهابص -  
 مكلّكع - صباع - عَفَ (الذهب) - كوع - سيف - قطف - كَرْم  
 (عنب) - أربكة - تل - مَرْهُنْدَل - عَتَيل - قُلَة (ماء) - بِنَامَا -  
 قُول مدشوش - فاس - جحش - كوب ... الخ .

وهكذا يتضح أنَّ كثيراً من الكلمات التي ذكرها عربي صرف . وبعضه  
 معرب عن لغات أخرى . وتم تعربيه بعيداً عن مصر .

والخلاصة أنَّ عِنْدَاتِ اللَّغَةِ الْقَبْطِيَّةِ مِنَ الْمَفَرَّدَاتِ فِي عَامِيَّةِ مِصْرِ مَحْدُودَةٌ  
 جَدَّاً يَعْكِسُ مَا قَدْ يَظْنَ . وَقَدْ عَيْرَ عَنْ هَذِهِ الْفَكْرَةِ الدَّكْتُورُ بَشَّارُ حِينَ قَالَ :  
 « وَهَذَا يَسْتَهِي بِنَا إِلَى القُولُ بِأَنَّ الْكَلِمَاتِ الْقَبْطِيَّةِ الْمُشَرَّكَةِ الْمُجَوَّدَةِ فِي الْمَصْرِيَّةِ  
 الْمَدَارِجِ لَا تَرَالُ قَلْبَلَةِ الْعَدْدِ » . فَلَيْسَ هُنَاكَ مِئَاتُ وَمِئَاتٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ .  
 وَلَيْسَ هُنَاكَ دُهُولٌ مِنْ كَثِيرَةِ عَدْدِهَا . وَإِنَّمَا هُنَى عَشْرَاتُ مِنَ الْكَلِمَاتِ لَا تَجَاوِزُ  
 بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ الْمَائِةِ .

وَالْتَّتِيجَةُ النَّهَايَةُ الَّتِي نَسْتَخلُصُهَا مِنْ كُلِّ هَذَا أَنَّ التَّأْيِيرَ الْقَبْطِيَّ عَلَى عَرَبِيَّةِ  
 مِصْرِ تَأْيِيرٌ مَحْدُودٌ جَدَّاً لَا يَكَادْ يَتَجَاوِزُ بِحَالِ الْمَفَرَّدَاتِ . وَحَتَّى فِي هَذَا الْخَالِ  
 فِي الْأَثَارِ ضَثِيلَةٌ جَدَّاً عَلَى عَكْسِ مَا يَرْدِدُهُ الْبَعْضُ . وَلَيْسَ هَذِهِ النَّتِيجَةُ بِالْأَمْرِ  
 الشَّاذِ أَوْ الْمُسْتَغْرِبِ لِدِي دَارِسِيِّ الْلَّغَاتِ وَمَرَاحِلِ صِرَاعِهَا . وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ  
 مُتَوْقَعٌ يُعْكِسُ التَّكْهُنَ بِهِ مُسْبِقاً . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ بِلُومِفِيلْدُ عَالِمُ الْلَّغَةِ الْأَمْرِيْكِيُّ  
 الْمُشْهُورُ : حِينَ تَتَصَرُّ لِغَةُ الْغَزَاةِ وَتَنْدَثِرُ لِغَةُ الْمَغْزُوَةِ لَا نَكَادُ نَلْحَظُ آثَارَ  
 فِي الْلَّغَةِ الْغَازِيَّةِ نَتِيجَةً لِذَلِكِ الْصَّرَاعِ إِلَّا بَعْضُ الْكَلِمَاتِ الْخَاصَّةِ بِالْبَيْتَةِ الْجَدِيدَةِ  
 مِنْ أَعْلَامِ أَوْ أَمْيَاءِ الْأَمْكَنَةِ . وَمِنْ الْفَاظِ تَعْبُرُ عَنْ أَشْيَاءٍ تَتَمَيَّزُ بِهَا هَذِهِ الْبَيْتَةِ ..  
 وَهَذَا مَا حَدَثَ لِلْلَّغَةِ الرُّوْمَانِيَّةِ حِينَ قَضَتْ عَلَى مَعْظَمِ لِغَاتِ أُورُبا فِي عَصْرِ  
 الْأَمْبَرِ طُورِيَّةِ الرُّوْمَانِيَّةِ (١) .

(١) انظر الدَّكْتُورُ إِبْرَاهِيمُ أَبْيَسُ : مِنْ أَمْرِ اِدَةِ الْلَّغَةِ مِنْ ٩٩ (طَنَابَ) وَ  
 فِي كِتَابِهِ Language ص ٤٦٤ .

## الفصل الرابع

### المؤثران الثاني: اللهجات العربية

جاء العرب إلى مصر فاتحين ثم مهاجرين . وكانوا مزيجاً من عناصر شتى ، وقبائل متعددة . وحملت كل قبيلة معها لمحنتها الخاصة التي تختلف قليلاً عن أختها . واحتللت كثيرة من هذه اللهجات . وانعزل بعضها مكوناً جزراً لغوية . وبخاصة في الأماكن النائية من الصحراء أو الصعيد الأعلى . ونبع عن هذا - إلى جانب عوامل أخرى كثيرة - وجود اختلافات بين لهجات الأقاليم . واحتصاص كل محافظة . وربما كل قرية بهمات معينة . وبخاصة في لغة الحديث .

وإنه لمن المؤسف حقاً أن نقول إن اللهجات العربية القديمة لم يسجل كثير من مهاراتها وخصائصها . بل سجل القليل . وهو ما دخل في نطاق اللغة الفصحى . وترك الكثير وهو ما خرج عنها . وقد قسم علماء اللغة والرواة القبائل العربية إلى قسمين اهتموا بأحد هما وأهملوا الآخر ، وبينوا فكرتهم على أساس البداوة والحضارة . فكلما كانت القبيلة بدوية أو أقرب لحياة البدو كانت لغتها أفعى . والثقة فيها أكثر . وكلما كانت متحضره أو أقرب إلى حياة الحضارة كانت لغتها محل شك ومثار شبهة . وكلما كانت القبيلة منعزلة عما حولها ، ومنقطعة الصلة بالعالم الخارجي كانت لغتها أفعى وأنقى ، وكلما كانت وثيقة الصلة بالأمم المجاورة وطا علاقات من أي نوع كان مع الدول الأجنبية كانت لغتها محل طعن وموضع ريب . وفكيرتهم في هذا

أن الانعزال في كبد الصحراء و عدم الاتصال بالأجناس الأجنبية يحفظ اللغة  
نقاوتها ، ويصونها من أي مؤثر خارجي . وأن الاختلاط يفسد اللغة و ينحرف  
بالألسنة . وأول من روى لنا قائمة محددة بالقبائل التي يستشهد بها والتي  
لا يستشهد بها انواري اللغوي في كتابه «الألقاظ والخبروف » . وتعد هذه  
القائمة وثيقة تاريخية هامة . وعنه أخذها أبو حيان في «شرح التسهيل» والسيوطى  
في كتابه «المزهر» و «الاقتراح» . وإليكم نص هذه الوثيقة : قال أبو نصر  
الفارابى في أول كتابه المسمى بالألقاظ والخبروف : كانت قريش أجود العرب  
انتقاء للأفضل من الألقاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسمو عاً  
وأبینها إبانة عما في النفس . والذين نقلت عنهم اللغة العربية . وهم افتدى .  
وعنهم أخذ اللسان العربى من بن قبائل العرب هم : قيس ونميم وأسد .  
فإن هؤلاء هم الذين عنهم أخذنا كثيراً أخذ و معظمه . وعليهم انكل في الغرب  
وفي الإعراب وفي التصريف . ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائرين : ولم يؤخذ  
عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة فلم يؤخذ عن حضرى فقط . ولا عن  
سكان البرارى من كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين  
حوضهم . فإنه لم يؤخذ لا من نخم ولا من جذام مجاورتهم أهل مصر والقطط .  
ولا من قضاة وغسان وإياد مجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى  
بقرءون العبرانية . ولا من تغلب والنفر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاوريين للبيونان .  
ولا من بكر مجاورتهم لنبط والفرس . ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم  
كانوا بالبحرين مجاوريين للهند والفرس . ولا من أهل اليمن مجاوريتهم للهند  
والحبشة . ولا من بني حيفة وسكان إنحاء . ولا من ثيف وأهل الطائف  
مجاوريتهم تجأر الأمم المقيمين عندهم . ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا  
اللغة صادفوهم حين ابتدعوا يتخلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم  
وفسدت ألسنتهم ... .

فإذا استعرضنا على ضوء هذه الوثيقة أمماء القبائل التي اشتراك في جيش

الفتح أو استوطنت في مصر نجد أن كثيراً منها كان من بين القبائل غير المؤثرة التي لم تسجل لغتها.

١ - فمن المعروف أن أغلب المهاجرين العرب طوال القرن الأول كانوا من قبائل عينة الأصل . وطالعنا الوثيقة بعدها أهل اليمن من بين غير المؤثرة فيهم الذين لم تسجل لهجاتهم .

٢ - أشهر من سكن مصر من « قضاعة » ، « جهينة » ، « بلي » ، « قضاعة » مطعون في فصاحتها .

٣ - من بطنون كهلان التي سكنت مصر « نجم » ، « جدام » ، « غسان » والثلاثة مطعون في فصاحتها .

٤ - نزلت طائفة من قريش فسلط مصر في أوائل الفتح . وسكن لفيف من الأنصار في صعيد مصر . وقد تجنب علماء اللغة حواضر الحجاز .

٥ - هاجرت قبيلة « الكتر » إلى مصر في القرن الثالث الهجري ونزلت في بلبيس بالشرقية . وفي أعلى الصعيد . وبنو الكتر يتبعون إلى ربيعة بن نزار ويعرفون بهم إلى بني حنفة المقيمين في منطقة البحيرة . وطالعنا الوثيقة السابقة بالتشكيك في بني حنفة وسكان البحيرة .

٦ - نجد قبائل من طيء، تصل مصر وتقيم بها في القرنين الأولين بعد الفتح . وقد هاجر بعض من بطنها اسمه سنبس في سنة ٢٤٢ هـ - ١٠٥٠ م من فلسطين إلى مصر حيث نزل مديرية البحيرة . وطالعنا الوثيقة بأن بعضها من طيء لا يوثق بلغتهم .

وهذا يعني أن لهجات هذه القبائل التي استبعدت من مجال التسجيل ، وحكم عليها بالفساد والخروج عن نطاق اللغة الفصحى ، والتي كانت في الواقع مصدرأً من مصادر اللهجات العربية التي تكونت في مصر بعد الفتح لا نعرف عنها إلا القليل ، أو لا نعرف عنها شيئاً أثبت . وهذا يلقي ظلالاً كثيفة من

الصعوبة على هذا الفصل حيث تفقد الشواهد التي تعينا على رد الفواهر اللهجية إلى مصادرها الأولى . ورب ظاهرة تحكم عليها بالخطأ وهي ترجع إلى هجوة من تلك اللهجات الوافدة . ورب تعبير أو لفظ نظر أجنبيه وهو بعث بعرق ونسب إلى أصل عربي . ورب ظاهرة صوتية توهم رجوعها إلى اللسان القبطي وهي ترجع في الواقع إلى هجوة عربية أو خاصة بدوية .

وعلى أي حال فقد وضعنا أيدينا على بعض المصادص اللهجية التي تركت آثارها في لغة مصر في هذه الفترة ; وسنحاول أن نعرضها الآن ، معتبرين بأنها لا تمثل إلا القليل أو الجانب الصغير ، وأنه ما زال بيننا وبين النقص شوط كبير .

## — ١ —

أما آثار اللهجات العربية في المستوى الأدنى للغة ، وقد استخرجناها كلها من أرق المستويات الكتابية في تلك الفترة فمن أمثلتها :

### أولاً : في مجال النحو والصرف :

١ - إلزام جمع المذكر السالم إليه في جميع حالاته الإعرابية . وقد لوحظت هذه الظاهرة حتى في الوثائق المبكرة المنسوبة إلى قرة بن شرياش . وهي هجوة عربية أشارت إليها كتب النحو .

٢ - حذف نون المثنى بدون إضافة نحو « مائني » بدلاً من مائين و « بيئي » بدلاً من بيئين ، وقد لوحظ هذا في وثائق البردي . وهذه أيضاً هجوة معروفة في كتب النحو وعليها المثل المشهور : يفضل ثنتاً وبيفي مائتاً أى يفضل ثنتان وبيفي مائتان . وجاء عليه قول الشاعر العربي :

هما خطنا إما إسارٌ ومنةٌ  
إما دمٌ والقتل بالحر أجد  
وابن جنى يرى رفع « إسارٌ » ويستجوده .

٣ - حذف أن المصدرية قبل المضارع . ومن ذلك قول الشافعى :  
عليه يتعلم الصلاة - قبل تُكمل الصلاة - قبل يُحلَّ عليك <sup>(١)</sup> ، وقول  
ابن زولاق : لاشتهيت تصفع نفسك <sup>(٢)</sup> . وحذف ، أن ، لهجة عربية ،  
وبعضهم يبيّن عملها بعد الحذف وبعضهم يبطله . <sup>(٣)</sup>

٤ - حذف النون في الإفعال الخمسة بدون ناصب ولا جازم .  
وقد تردد هنا في كلام الإمام الشافعى كقوله : فلا يُحلوا المطلقة حتى تغتسل -  
ويتفرقوا في بعض ما أخذوا به منهم <sup>(٤)</sup> . كما ورد في كلام ابن زولاق  
مثل <sup>(٥)</sup> : وجاءت سنانير يصيبحوا . ومن كلام ابن الديابة : تغصيني بقولك  
أفترضني . وهذه أيضاً لهجة عربية صحيحة وجاء عليها الحديث النبوى  
الشريف : كما تكونوا يوم عيلكم .

٥ - نصب معمولى « إن » كقول الشافعى : من أن ذلك موجوداً  
على كلام <sup>(٦)</sup> . وشاهدنا من الشعر القديم ... إن حراسنا أسدًا .

٦ - إثبات الياء في المتفوض التكرة كقول الشافعى : عن مصلى -  
على نواحي - وكذلك كل والي - ثلاثة معانى كلکم مؤدى ما عليه -  
من وجه ثانى <sup>(٧)</sup> .

(١) الرسالة ( تحقيق أحمد شاكر ) ص ٤٩ و ٢٦٥ و ٥٨٤ .

(٢) أخبار سيوط المصرى من ٣٩ .

(٣) في القرآن الكريم : ومن آياته يربكم البرز . وفي المثل : عند المسر قبل يأخذك  
ـ ، لنصبـ ـ وفديـ ـ يـ ـ بالـ ـ جهـ ـ يـ ـ قولـ ـ الشـ ـ اـ ـ

الـ ـ أـ ـ أـ ـ الزـ ـ اـ ـ جـ ـ رـ ـ أـ ـ حـ ـ تـ ـ سـ ـ الـ ـ وـ ـ غـ ـ يـ ـ

(٤) الرسالة ص ٥٦٢ و ٥٩٧ .

(٥) أخبار سيوط المصرى من ٢٨ .

(٦) الرسالة ص ٤٥٨ .

(٧) الرسالة ص ٢٩٢ و ٤١٥ و ٤٢٢ و ٤٣٢ و ٤٣٣ و ٥٣٠ .

٧ - إثابة الحار والمحرر مناب الفاعل مع ذكر المفعول به منصوباً كقول الشافعى : أَنْ يُظْهِنَ بِهِ ظَاهِنًا مُخَالِفًا - يُشترى بالدنازير والدرامن نقداً عسلاً وسمنا (١) .

٨ - إلهاق علامه الشنبية أو الجمع بالفعل إذا أُسند إليه مبني أو جمع كقول ابن الديمة : اشتهروا على صبيانى حلوى في العيد . وتلك مجدة مشهورة معروفة في كتب النحو ولها شواهد كثيرة .

٩ - إشباع تاء الخطاب في مخاطبة المؤنة كقول ابن الديمة : جراء ماقدمته . قال الخطاجي هي لغة ربيعة ، وقد وردت في الحديث البوى فيما رواه البخارى كذلك . (٢)

١٠ - إدخال « ال » في العدد المضاد كقول أبي جعفر التحايس : الثلاثة الأصناف - الثالثة الأحرف ، بدلاً من ثلاثة الأصناف وثلاثة الأحرف ، وقول ابن ولاد : والثلاثة الأئم .

ثانياً : في مجال المفردات :

نجده مفردات كثيرة تردد في أشعار المصريين وكتاباتهم ليس لها وجود في المعاجم التي بين أيدينا . وهذه - في رأينا - لا بد أن تمثل استعمالات خاصة لبعض القبائل التي أهلت تسجيل لغتها ، أو تمثل مادة لغوية ندت عن حصر اللغويين . ومن أمثلة ذلك :

١ - استعمال « ست » ، « مكان » ، « سيدة » وقد وردت في « المكافأة » لابن الديمة . وهي استعمال قديم أشار إليه أبو العلاء المعري في رسالة الغفران وذكر له البيت :

(١) رسالة ص ١٤٠ و ٥٢٥ .

(٢) انت الفاطح على تصحيح بعض ما استعمله العامة من المغرب والمدخل والمولى والأغلاط (ط طنطا) ص ٤٤ .

## ست إن أعياك أمرى فاحمليني زقونـة

وقال الفيروز باذى : سئى أى ياست جهانى . وقال الزيدى معقباً على هذا : كأنه كنایة عن تملکها له . وقال بعضهم إن أصلها سبدنى فحذف بعض حروف الكلمة تخفيناً . وللبهاء زهير أبيات استعمل فيها هذه الكلمة أكثر من مرة متهدلاً للغويين التقليديين وهي :

بروحى من أسمها بسى فينظرنى النحاة بعين مقت  
يرون بأنى قد قلت ل هنا وكيف وإنى لزهير وفلى  
ولكن غادة ملكت جهانى فلا لحن إذا ما قلت سى

٢ - استعمال كلمة « عيالات » جمعاً لعيال . وقد وردت في « فتوح مصر » لابن عبد الحكم . وهى ليست في معاجم اللغة التي رجعت إليها .

٣ - جمعهم « جيل » على جبيل كقول المعلى الطائى :

كيف ياقبط تكونوا عرباً ومريض أصلكم شر الجيل  
ولا يوجد هذا الجمع في « لسان العرب » ولا القاموس المحيط .

٤ - استعمل سعيد بن عفیر « تتكل » بمعنى أخذته الرعدة في قوله :  
فما زاده الإبعاد إلا توقرأ وصبرا ولم يخضع ولم يتتكل  
والذى في اللسان : الأتكل الرعدة ولا يبى منه فعل . وهناك اتكل  
يعنى احتفل ، أما تتكل فلا توجد .

٥ - استخدام كلمة « التقليد » بمعنى المحاكاة ، كما في قول التحايس :  
وهذا زجر عن التقليد . وهذا المعنى لا وجود له في أى من المعاجم القديمة .

٦ - استعمال كلمة « الخلاع » بمعنى الخارجين على السلطان ، فقد  
قال أبو عثمان السكري في مدح يحيى بن معاذ الذى تولى مصر عام ١٩٢ هـ :

وأباد الخلاع من كل أرض بعد ما حاد عنهم كل فارس  
ولم أجده هذا الاشتباك فيما تحت يدى من معاجم .

وأما آثار اللهجات العربية في المستوى نصف الأدبي أو اللغة الكتابية لغير المختصين فأكثر وأغزر . ونضيف إلى الأمثلة السابقة – التي لا بد أن تكون قد شاعت في هذا المستوى كذلك – ما يأتي :

أولاً : في مجال الأصوات (١) :

١ - حلول الناء محل الثناء مثل ثلات بدلات من ثلاثة وانتعثر بدلات من اثنتا عشرة وتغلب بدلات من ثلث . ويرى أن عرب خبر كانوا ينطقون الثناء عوضاً عن الثناء (٢) .

٢ - كتابة القاف كافاً ونطقها قريباً من صوت الكاف . ومن المعروف أن القاف القريبة من الكاف قد انتقلت مع الهمزة وأحلافهم من القيسين منذ القرن الرابع الهجري إلى أقطار شتى في إفريقيا والأندلس . وقد عرف بها عربان أهل البدية في مصر أيام الممالك ، حتى كان هؤلاء يطاردون العربان في المعارك ويميزونهم بهذه القاف . فكان إذا أدعى أحد منهم أنه حضرى قبل له قل « دقيق » فإن قالها بالكاف قتل ، وإن قالها بالقاف أطلق . وقد تحدث ابن خلدون عن هذه القاف وسماتها القاف المعقودة (٣) وعددها من

(١) لم نتمكن في المتن السابق من أن نضع أيدينا على آثار صوتية ، لأن اللغة المكتوبة لا تكشف عن كيفية النطق لعدم تمثيلها أصوات العلة من ناحية ، ولهاظتها على المجهد التقليدي من ناحية أخرى حتى لو كانت الكلمة تتعلق بتصوره آخرى . أما في هذا المستوى فقد أمكننا أن نضع أيدينا على كثير من الحالات الصوتية وذلك بمساعدة وثائق البردي العربية المنشورة . كما كان لنصي العرى المكتوب بحروف قبطية الذي نشره الدكتور سليمان أخيه خاصة في هذا المقام نظراً لتشابه الرسم القبطي للكلمات المنطورة بما في ذلك حروف العلة فيها . واعتقدنا كذلك في كتابة هذا الجزء على مؤلفات الأقباط باللغة العربية وهي كبيرة ومتعددة .

(٢) انظر عبد الحفيظ عابدين : « من أصول اللهجات العربية في السودان » (طب أولى سنة ١٩٦٦) ص ٤٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٤ و ٤٦ .

## خصائص البدو في الأقطار العربية (١) .

٣ - كتابة الذال دالاً ونطقوها كذلك . وما ورد منه : « فإذا » بدلًا من فإذا ، و « أخذ » بدلًا من أخذ ، و « أحدق » بدلًا من أحذق . ومن المعروف أن اللغة الآرامية التي كانت ذات تأثير بالغ في كثير من لهجات العرب قبل الإسلام وبعده كانت تبدل الذال دالاً بصفة مطردة . ومن المعروف كذلك أنبني ربعة كانوا يبدلون الذال دالاً في بعض الألفاظ (٢) .

٤ - التبادل بين الصاد والسين مثل فلسطين وفلسطين ، والسلطان والسلطان . وسوف وصوف ، ومبوغة ومصبوغة . وهذا التبادل مشهور في اللهجات العربية القديمة ، ومن أمثلته : سفح وصفح ، وسفر وصفر ، وسراط وصراط ، ولسق ، ولصق ، وبساق وبصاق ، وسفق وصفق .

٥ - إهمال الحمزة بالكلية مثل « جانى » بدلًا من جامنی ، و « شى » بدلًا من شى ، و « أردا » بدلًا من أرداً و « جاهم » بدلًا من جاءهم . وقضية تسهيل الحمزة - في القدم - بالحذف أو التخفيف أشهر من أن تشير إليها .

٦ - إعمال قانون المعائلة بين الأصوات إلى أبعد حد . وأمثلة ذلك من مخطوطات دير القديس مكاريوس كثيرة منها :

(أ) عنده التي كتبت عنده . وقد سبق أن شرحنا المعائلة بين حروف الخلق والفتحة . وقد جاءت هذه الصيغة وفقاً لإحدى اللغات في نطق « عند » .

(١) من الأهمية يمكن أن تشير هنا إلى أن مخطوطات دير القديس مكاريوس التي تتناول الكلمات العربية ببر موز قبطية تكشف عن أن صوت الفاف حتى ذلك الوقت لم يكن قد كتب أو نطق في شكل همز بين المتفقين وأنصافهم ولم يرد فيها مثلًا « آه ماذه الفاف » .

(٢) عبد الحميد عابدين : من أصول اللهجات العربية في السودان ص ٤٩ .

( ب ) وَسْخُ الْتِي كُتِبَتْ وَسْخٌ . والمماطلة بين الحركات ظاهرة شائعة في اللهجات العربية ؛ مثل علِيهِمِ الْحَلَاء . فلامه الثالث في بعض القراءات .

### ثانياً : في مجال النحو والصرف :

١ - أهم ظاهرة تلفت نظر الباحث هي إهمال الإعراب أو التخلص منه بالكلبة . وأحياناً يجد بعضهم يحاول المحافظة عليه فيقع في أخطاء فاحشة . ومن أمثلة إهمال الإعراب نقتبس ما يأتي : فدفعت لهم فاس وليس خنزير ملح - اجنو لكم قصب - قلى لي كلام . وهذه الخادج الثلاثة مأخوذة من خطوطات دير القديس مكاريوس . وقد ندت هذه الأمثلة من الكتاب لأنها كان حرياً على التزام الإعراب . وكان يكتب التنوين بحروف تتشابه كحركة والنون مثل كلمة مسكنة التي كتبها كما لو كانت مسكتين . ومن الأمثلة التي وردت في البرديات ومؤلفات الأقباط : حرف بحرف ( بدلاً من حرفاً بحرف ) - الذي كان رئيس على دير - فلم يلتفت قليل حتى وقع الطاعون - أقاموا ستة أشهر إلا يوم - مما بسوى درهم - كتبت إليك كتاب - عشرين رطل .

ولا شك أن إهمال الإعراب جاء نتيجة تأثير بعض اللهجات العربية الواقفة . فعلى الرغم مما هو معروف بين علماء اللغات من أن الإعراب كان من أهم الظواهر العربية الشديدة الاصطدام باللغة . فإن كثيراً من الأمثلة اللهجية التي وردت إليها تكشف عن اتجاه خطير نحو التخلص منه . كما أنه من غير الممكن الزعم بأن الإعراب كان ملتزماً بين كل القبائل وعلى كل المستويات . وفي هذا يقول الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس : « إن ظاهرة الإعراب لم تكن ظاهرة سلبية في متناول العرب جميعاً ، بل كانت صفة من صفات اللغة الفوذجية الأدبية ولم تكن من معالم الكلام العربي في أحاديث الناس ولهجات

خطاهم . . ويستدل الدكتور عبد الحليم التجار (١) على شيوخ طاهرة بإعمال الإعراب بأمثلة الإدغام التي وردت بكثرة في القرآن الكريم من مثل : الكتاب بالحق - النكاح حتى - الناس سكارى يشفع عنده - يمنع غير الإسلام - اختلف فيه - البيانات ثم الصالحات جنات - السبات ذلك - الحنة زمراً - وورث سليمان - حيث شئتما ...

وقد أدى ذلك إلى محاولة إلزام الكلمات المعرفة بالحروف وجهها واحداً . ومن أمثلة ذلك : في ذي الحجة - أبو قير ( بدلاً من أبي قير ) - ذا النون ( بدلاً من ذي النون ) - أبي أيوب ( بدلاً من أبي أيوب ) - ( بيداه بدلاً من بيديه ) - إن هاتان الخصلتان ( بدلاً من هاتين الخصلتين ) ... الخ .

٢ معاملة الفعل المعتل الآخر معاملة الصحيح في الإعراب . ومن أمثلة ذلك : لم تدرى ( بدلاً من لم تدر ) - رضيوا ( بدلاً من رضوا ) - سُبُّوا ( بدلاً من سموا ) ... وثبتت لغويًا وتاريخياً أن هذه هي المعادة في بعض التهجيجات العربية (٢) . وجاء عليها قول الشاعر :

أَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءَ تَسْمِيْ  
بِمَا لَاقَتْ لَبُونَ بْنَ زَبَادَ  
وَقُولَ الْآخَرَ :

هَجَوَتْ زَبَانَ نَمْ جَثَتْ مَعْنَفِراً  
مِنْ هَجَوْ زَبَانَ لَمْ هَجَوْ وَلَمْ تَدْعَ  
وَمِنْهُ أَبْعَدَ قُولَ الشَّاعِرَ :

نَرَاهُ وَقَدْ فَاتَ الرَّمَاهَ كَائِنَهُ      أَمَامَ الْكَلَابِ مَعْنَيُهُ الْحَدَّ أَصَامِ  
وَهَذِهِ الظَّاهِرَةُ آثارُ باقِيَةٍ فِي لِغَاتٍ سَامِيَّةٍ أُخْرَى كَالْلَغَةِ الْجَعْزَبَةِ الَّتِي تَقُولُ

(١) « في التهجيجات العربية وأصول اختلافها » مقال بمجلة كلية الآداب ( جامعة القاهرة ) مجلد ١٥ جزء ١ مايو سنة ١٩٥٣ ) ص ٤٥٤ و ٤٥٥ .

(٢) انظر د . بشر : ظرارات في الصرف العربي ص ٢٢ و ٢٤ .

صَحُورٌ بَدْلًا مِنْ صَحَا ، وَرَمَى بَدْلًا مِنْ رَمَى ، وَنَلَمْ بَدْلًا مِنْ نَلَا وَغَيْرَ ذلك (٢) .

٣ - معاملة المؤذن الحارى معاملة المذكر في كل شىء . باعادة الضمير عليه مذكراً . ووصفة المذكر . والإشارة إليه باسم الإشارة المذكر مثل : هذا الدار عينه الآمن .. وقد كانت هذه عادة بعض العرب . وكان المبرد من أوائل من بنوها ونادوا بها إذ قال فيها نقله عنه أبو جعفر النحاس في « إعراب القرآن » : مالم يكن فيه علامنة التائب . وكان غير حقيق التائب فلك تذكرة نحو : هذا نار . وقد وردت شواهد عربية قديمة مصدقة لرأى المبرد مثل قوله تعالى : السماء منفطر به . وقول الشاعر :

والعين بالإندى الحارى مكحول

وقول الآخر :

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أقبل إيقافها

٤ - الوقوف على الضمير بنقل حرکته آخره إلى الحرف الذي قبله مثل قوله : ينفع نفسه - فقال له عئنه . وقد بدا ذلك واضحاً في خطوطات دير القديس مكاريوس .

٥ - إسقاط الفاء من جواب « أما » مثل : أما بتوكم قد سقطوا .. وقد ورد ذلك في الشعر على قلة كفوله :

فاما القتال لا قتال لدبكم ولكن سباق عراض المراكب  
كما ورد في الحديث النبوي الشريف .

٦ - صرف الممنوع من الصرف مثل : ذبحوا ذبحاً . والخلاف بين

---

(١) المرجع (الـ ٢٧) سـ ٢٥ .

النهاة في جواز صرف الم النوع من الصرف بدون علة تناولته كتب التحو بالتفصيل . وفي القرآن الكريم « سلاما وأغلا » : وفيه « اهبطوا مصراء » .

### ثالثاً : في حال المفردات والعبارات :

في هذا المستوى اللغوي شاعت عبارات وألفاظ كثيرة لها أصول عربية واضحة ، ولكن ربما تخرج المتحفظون من استعمالها ، أو ربما لم يكتب لها الشيوع في البلاد العربية فظللت لها صفة أخلاقية أو إقليمية ، مما شجع بعض اللغويين أن يحكموا عليها من أجل ذلك بالابتهاج أو غير الفصاحة . ومن أمثلة ذلك :

١ - استعمال لفظي « قبل » و « بحرى » في مقابل جنوبي وشمالي . وقد تردد ذلك كثيراً في ثائق البردي وبخاصة في ثائق البيع ووصف حدود الأراضي أو المنازل . وقد تباهى المقربى إلى هذه الخاصة المصرية فقال في خططه : إلا أن أهل مصر يستعملون في تحديدتهم بدلاً من الجهة الجنوبيّة لفظة القبلية . ويقولون الحد القبلي ولا يقولون الجنوبي . وكذلك يقولون الحد البحري ويريدون الشمالي .

٢ - استعمال الكلمة « المزبن » بمعناها الحديث الذي نستعمله فيها الآن وهو الحلاق .

٣ - استعمال الكلمة « أمهات » جمعاً لأب ، وقد وردت في مخطوطات دير القديس مكاريوس . ولم أغير عليها في معاجلتنا اللغوية . ولعل منشأها القياس الخاطئ هذه الكلمة على « أمهات » . ومن الجموع الغريبة كذلك جمع « سوط » على « أسياط » و « نجيب » على « نجبان » : و « جنة » على « أجنة » .

٤ - استعمال الكلمة « بيت الراحة » يعني مكان قضاء الحاجة ، كما وردت في المخطوطات الموجودة بكتبة دير القديس مكاريوس .

٥ - استعمال الكلمة « ثقيل » يعني جندي مدعج بالسلاح . وقد ورد ذلك في وثائق البردي .

٦ - استعمالهم الكلمة « أسباطة » ( تحرفت الآن إلى سبطة ) يعني العذق أو القتو . وعلى الرغم مما قبل عن أصلها اليوناني فإن صلتها الفاشرة عادة « سبط » العربية تجعلنا نقول بعربيتها . ومن معانى هذه المادة : السبط الشجرة لها أغصان كثيرة وأصلها واحد . والسبط ولد الولد والقبيلة .

٧ - وهناك بعض تعبيرات مصرية وردت إشارات خاصة إليها في مؤلفات كراع التمل اللغوي المصري الذي مات في القرن الرابع الميلادي ومنها : رف الحاجب : اختلع - فش القفل : فتحه بغیر مفتاح - فحم الصبي : بكى حتى ينقطع صوته (١) .

### - ٣ -

وأما آثار اللهجات العربية في مستوى الخطاب العادي أو اللغة الدارجة فأكثر من أن تخفي ، وتعبر اللهجات العربية - بلا شك - المصدر الرئيسي لها . وإنه لمن السهل جداً رد كثير من خصائصها إلى أصول عربية ، سواء احتفظ بهذه الأصول كما هي ، أو لغفها تعديل وتغيير . ومن أهم تلك الآثار :

#### أولاً : في مجال الأصوات :

نضيف إلى الأمثلة السابقة فيما مضى ما يأتي :

١ - كسر حرف المضارعة - ماعدا همزة المتكلم تحوّل اختلاص صيغة المضارع بصيغة الأمر - مثل يكتب - تكتب - نكتب . وظاهرة الكسر هذه معروفة في تاريخ اللهجات العربية ، واطردهت في بعض اللهجات القديمة .

(١) انظر المجد في الملة من ١٣٩ و ١٣٧ و ١٨٦ محفوظة دار الكتب المصرية رقم ٤٠.

٢ - إبدال القاف همزة في القاهرة وبعض حواضر الوجه البحري . ولذلك أصول قديمة على ما قرره أنوليمان في بحثه « بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي » . وهو موجود في أمماء الأعلام الفينيقية . وقد نقل السبوطي تصوًّعاً معنى تصوّق (أى توسيخ) وذكر الأب أنساس : أفتر يعني فتنز واستشأ يعني استنشق .. إلخ . وعلى الرغم من أن مخطوطات دير القديس مكاريوس لا تُعرِّف عن صوت القاف برمز الممزة فليس في ذلك دليل على عدم حدوث هذا التطور في العصور السحيقة ، فإن لغة هذه المخطوطات - برغم ما فيها من مسحة عامية - خليط من العامية والمصحح . وقد التزم كاتبها - في كثير من الأحوال - الاتجاه الفصيح مفضلاً إياه على الحاذب العامي .

٣ - حذف نون ، من « و » عن « إذا » ولهمما ساكن مثل ماليت عاليت . وتلك خاصة من خواص خثعم وزيد من قبائل كهلان اليمنية .  
٤ - النطق الصعيدي لصوت القاف والجيم يعكس انعماً بدويًا كما سبق أن ذكرنا .

٥ - النطق القاهري لصوت الجيم له أصل عربي في اللهجات العربية القديمة . وقد أثبت أنوليمان أن نطق الجيم الأصلي كان كما هو عليه الآن في القاهرة . وقدم أدلة على ذلك من الكتب والتقوش اليونانية التي ذكرت فيها أمماء عربية . ومن نقش وجد في « أم الحمال » ، ببادية الشام مكتوب بحروف هبطية ، ومن المقارنات السامية المتعددة . أما نطقها مع التعطيش فكان نطق القرشيين في زمان النبي (١) . وصار نطق القرآن الكريم .

ثانياً : في مجال التحو وصرف :

١ - إلغاء الإعراب كما سبق أن فصلنا .

(١) « بقايا اللهجات العربية » . حيث مجلد « بقايا الآداب » جمعة فؤاد الأول ، مايو سنة ١٩٤٨ (ص ١ و ٢) .

٢ - قرن الباء يُعرف المضارعة كقوشم باكت وبيكت .. واستخدام هذه الباء مع المضارع قديم جداً في اللغات السامية . فقد وردت في نقوش كنعانية من شهاب سوريّة ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

٣ - لصق نون وفايـة باسم الفاعل المضاف إلى باء المتكلـم مثل ضاربـيـ وفـاهـمـيـ . وقد ورد هذا فيـ الشـعـرـ القـدـيمـ . وـمـنـ قـوـلـ الشـاعـرـ :  
همـ القـائـلـوـنـ الـخـيـرـ وـالـأـمـرـوـنـهـ إـذـاـ مـاـخـتـواـ مـنـ مـحـدـثـ الـأـمـرـ مـعـظـمـاـ

٤ - الاستغنـاءـ عنـ صـيـغـةـ سـعـ /ـ سـعـ /ـ سـعـ فـيـ المـاضـيـ المـعـتـلـ الآخرـ بـالـباءـ مـثـلـ بـيـقـ .ـ وـالـاسـتـعـانـةـ عـنـهاـ بـصـيـغـةـ سـعـ /ـ سـعـ عـ مـثـلـ بـقــاـ .ـ وـقـدـ تـرـدـ ذـلـكـ كـثـيرـاـ فـيـ أـورـاقـ الـبـرـديـ الـعـرـبـيـ وـلـهـ أـصـلـ فـيـ الـلـغـةـ .ـ

#### ثالثاً : في مجال المفردات :

الأمثلة كثيرة لـ الكلماتـ الـخـرـفةـ عـنـ أـصـلـ عـرـبـيـ أوـ الـتـيـ تـرـجـعـ إـلـىـ هـجـةـ عـرـبـيـةـ معـبـةـ .ـ وـمـنـ ذـلـكـ :

- ١ - كلمة « جلبة » ، الخـرـفةـ عـنـ جـلـبـابـ .ـ
- ٢ - « متـرـدـ » الـتـيـ يـكـثـرـ اـسـتـعـالـاـهـ فـيـ الـرـيفـ .ـ وـهـيـ خـرـبـيـ لـكـلـمـةـ « متـرـدـ » اـسـمـ الـمـكـانـ فـيـ الـفـعـلـ ثـرـدـ .ـ يـقـالـ :ـ ثـرـدـتـ الـخـبـزـ ثـرـدـأـ كـسـرـتـهـ فـهـوـ ثـرـيدـ وـمـتـرـدـ .ـ
- ٣ - « بـيـوتـ » الـتـيـ تـعـنـىـ الـفـرعـ النـابـتـ مـنـ الشـجـرـ .ـ وـنـطـلـقـ -ـ كـمـاـ نـصـ صـاحـبـ النـاجـ -ـ عـلـىـ عـصـاـ الـمـسـتوـيـةـ فـيـ لـغـةـ الـمـصـرـيـنـ .ـ
- ٤ - « إـيـشـ » الـتـيـ تـرـدـتـ كـثـيرـاـ فـيـ الـوـنـاقـ الـبـرـديـ وـمـخـطـوـطـاتـ الـأـقـيـاطـ بـعـنـىـ أـيـ شـيـءـ .ـ وـهـوـ مـخـفـفـ مـنـهـاـ كـمـاـ نـصـ عـلـىـ إـبـنـ السـيدـ فـيـ «ـ شـرـحـ أـدـبـ الـكـاتـبـ »ـ ،ـ وـصـرـحـوـاـ بـأـنـهـ سـعـ عـنـ الـعـربـ .ـ
- ٥ - كلمة « ستـ » الـتـيـ سـبـقـ الـحـدـيـثـ عـنـهاـ .ـ

٦ - فول « مدشوش » ، فقد حكى ثعلب في المجالس جثث الحنطة ودشتتها . وعلى هذا فقول العامة مدشوش ودشيش له أصل عربي يخالف من زعم أنه مغرب عن القبطية .

٧ - استعمال لفظ « اميراح » الذي يبدو أنه النطق الهمبرى للغرض « البارحة » بدل اللام فيها . وعليه جاء الحديث النبوى : ليس من أمر امتصاص فى امسفر ( ليس من البر الصيام فى السفر ) . ويرى أنوليان أن هذا ليس إبدالا وأن « أم » أداة تعريف مستقلة .

٨ - استعمال الكلمة « بع » للأطفال خاصة بمعنى انتهى أو لم يبق . وأصله بجاح . فى لسان العرب : قال المحيانى : زعم الكسائى أنه سمع رجلا من بنى عامر يقول : إذا قيل لنا أين عندكم شىء ؟ قلنا : بجاح . أى : لم يبق .

٩ - استعمال الكلمة « ديت » بدلًا من ليس . والتبادل بين الراء واللام مشهور فى كتب اللغة . وروى أن بنى قبس كانوا يتناولون داعل فى لعل .

## الفصل الخامس

### مؤثرات أخرى

إلى جانب العاملين السابقين وجدت عوامل أخرى كان لها تأثير ثانوي على عربية مصر ، وتمثل في :

- ١ - عامل التزوع نحو السهولة وتوفير الجهد (١) .
- ٢ - عامل اللامبالاة .
- ٣ - عامل الاقتراض من لغات أخرى غير القبطية واليونانية ، مثل اللاتينية والفارسية والتركية .

أما في المستوى الأول فلا تظهر بوضوح آثار هذه العوامل ، كما لم تنفع آثار العاملين الأوائل . ولا يوجد اختلاف جوهري بين كتابات هذا المستوى في مصر ومقابله في البلاد العربية الأخرى . والسبب يتمثل في الحقيقة التي كان مسلماً بها في تلك الفترة وهي أن اللغة العربية المنوذجة تتصل في القرآن والأحاديث النبوية ، وفي الشعر والنثر التقليديين . وقد أدى هذا بالكتاب والشعراء والأدباء إلى أن يحاولوا محاكاة هذه المذاجر الأدبية . وأن يكون غاية ما يبرجوه

(١) منذ عصر مبكر اختلف المفكرون هل كانت اللغات تمنع إلى السهولة أم إلى التعقيد . وعلى رأس الفريقين الأول المعروى الأمريكى Whitney الذى يقرر أن كل ما نكتشفه من تطور في اللغة ليس إلا أدلة لزعة اللغات إلى توفير الجهد الذى يبذل في النطق . ( انظر الـكتور أبوب :تطور المفوى من ٣٩ و ٤٠ ) .

الواحد منهم أن يتبَع تقاليدِها حرفيًّا . وعلى الرغم من هذه الحقيقة ، ومن المخوالات الصادقة للأدباء ألا يجذبوا عن الأسلوب الرافِق والمستوى الأدبي المُوذرجي ، فإن الفحص الدقيق لتلك الأساليب يكشف عن اختفاء ومخالفات للتقاليد الكتائية ، ولكنها — الحق يقال — تبدو ضئيلة جدًا . ومن ذلك قول ابن الديبة : لم يبق لي إلا جارية .. ومتزلا ، والصواب «ومنزل» . ومن طريف ما يروى في ذلك أن الفضل بن عباس دخل على كافور الإخشيدى وعنده أبو إسحاق التجبرى فقال له : أَدَمَ اللَّهُ أَيَّامَ سَيِّدِنَا الْأَسْتَاذَ . بَحْرُ الْأَيَّامَ ، فابتسم كافور إلى أبي إسحاق التجبرى فقال أبو إسحاق على الغور :

لا غرو أنَّ لحن الداعي لسيِّدنا  
وغص من هية بالريق والبهر  
فإن يكن خفْض الأيام عن دهش  
من شدة الخوف لا من قلة البصر  
فقد نفألت في هذا لسيِّدنا  
والفال نأثره عن سيد البشر  
بأن أيامه خفض بلا نصب  
وأن دولته صفو بلا كسر  
فأمر له كافور بثمانة دينار ولا بن عباس بمثلها .

ومن الكلمات المفترضة :

١ — كلمة جسطال أو قسطال التي تعنى حاكم مصر . ثم استعملت في معنى حاكم مقاطعة أو مديرية . وقد ترددت كثيراً في وثائق البردي بما فيها رسائل قرة بن شريك المكررة . وقد ذكر جروهمان أنها مفترضة من أصل يوناني أو لاتيني .

٢ و ٣ — كلمة مازوت وجمعها موازيت التي وردت في المؤلفات العربية واستعملها المقريزى في الخطاطف إذ قال : « تُرْعِتْ موازيت القبط عن الكور واستعمل المسلمون عليها » . ومعناها بالتعبير الحديث عمدة القرية أو حاكم المدينة . وقد ذكر جروهمان أن أصلها يوناني أو لاتيني .

أما « الكورة » فتعني القرية أو الحلة أو المدينة . وهي كلمة مفترضة كذلك وتردلت في رسائل قرة بن شربلث .

ويبدو أن هذه الألفاظ - وربما غيرها - كانت خاصة بالرسائل الرسمية أو بلغة الإدارة .

وأما المستويان الثاني والثالث - وسنديمهمما في هذا الفصل - فيظهر فيما بوضوح آثار هذه العوامل سواء في مجال الأصوات أو النحو والصرف أو المفردات .

#### أولاً : في مجال الأصوات :

من أمثلة ذلك :

- ١ - إبدال الذال زايا الذي يبدو أنه لا يمثل عنصراً هجياً أصلياً . وإنما هو استخفاف في كافية النطق وبذل جهد أقل .
- ٢ - إبدال الطاء ضاداً مثل « احْفَضْ » بدلاً من احْفَظْ التي وردت في وثائق البردي .
- ٣ - وقد ورد في بعض وثائق البردي إبدال الصاد طاء مثل « محْطَرَه » بدلاً من محضره و « فَطَلَهُ » بدلاً من فضلته .
- ٤ - قلب الرأى دالاً كما في الكلمة جزاء التي كتبت في الوثائق البردية « جَدَّى » .
- ٥ - التخلص من حرف اللام المزدوج عن طريق قلبه إلى حرف علة طوبيل . ومن أمثلة ذلك « بَيْتٌ » التي تحولت إلى « بَيْتٍ » :
- ٦ - الإدغام بعد قلب أحد الصوتين المتقاربين إلى صوت مماثل مثل « بَعْتٌ » في مكان بعثت التي وردت في وثيقة بردية كتبت في سنة ٢٧٨ :

٧ - فك ياء النسب المشددة والاستعاضة عنها بباء مد مثل « الشِّقِّ » بدلاً من « الشَّقِّ »، وقد كتبت الكلمة في مخطوطات دير القديس مكاريوس هكذا.

### ثانية : في مجال النحو والصرف :

والتغيرات في هذا المجال كثيرة جداً ومتعددة . ومن أهمها :

١ - أخطاء في الإعراب مثل: فهذا قياساً ومنلاً - لا يتركون أحد - لثلا ينظران - كان لسلام عبداً .

٢ - خلق صيغة صرفية جديدة لا وجود لها في العربية الكلاسيكية مثل صيغة انفعال مكان تفعل . ومن أمثلة ذلك « اتجسد » (تجسد) و « اتوكل » (واترجا)، أو نقل فعل من صيغة إلى صيغة أخرى مثل استعمال الفعل اتلي بدلاً من الفعل تولى ، وأورى بدلاً من الفعل أرى .

٣ - أخطاء في باب العدد مثل تسعة ساعات (سع) . أربعة عشر ليلة (أربع عشرة) :اثنا عشر سنة (اثنتا عشرة) . بعد مائة اثنين وستين (واثنتين) .

٤ - وضع الذي مكان التي مثل: الأموال الذي شرحتها - ثياب الذي.

٥ - استعمال اسم الإشارة استعمالاً خاطئاً مثل: أربع الدراهم هذا .

٦ - تحويل صيغة الأمر فعل إلى فعل بقصد تحقيق المعاللة وتوفير الجهد مثل خيّطها بدلاً من خيطها .

٧ - إعادة الضمير مجموعاً على غير العاقل الجمع كقول السنودي في مقدمة كتابه في نحو اللغة القبطية : كتب الله المستعملة في الكنسة - وما ينضاف إليهم ، وكقول مخطوط مكتبة دير القديس مكاريوس : الأعمال كلهم .

### ثالثاً : في مجال المفردات :

استعملت كلمات كثيرة لها أصول أجنبية مختلفة ، كما حرفت كلمات أخرى عن صورتها الأصلية أو معناها الأصلي . فمن النوع الأول :

- ١ - كلمة « بُرْش » وهي تركية ومعناها حصير .
- ٢ - كلمة « شوشة » وهي موجودة في السريانية بصيغة شُشَا ومعناها كبة قطن .
- ٣ - كلمة « قلابة » يعني بيت الأستف أو بيعة النصارى . وهي كلمة لاتينية تعنى خلوة ، ثم أخذتها السريان فصارت قلينا ، ثم أخذها العرب فقالوا قلابة وجمعوها على قلالي .
- ٤ - كامنة « روزنامچ » يعني دفتر اليومية الماخوذة عن الفارسية : « روزنامجه » أو « روزنامه » .
- ٥ - كامنة « سنتجة » يعني إيصال وهي فارسية .
- ٦ - كلمة « اسيذاج » الماخوذة من أصل آرامي . ومعناها رماد الرصاص .
- ٧ - كلمة « بوش » يعني عديم الحدوى أو خاز . وهي أصل تركية .
- ٨ - كلمة « زير » للإماء التخاري المعروف . وأصلها أكادي ثم انتقلت إلى الآرامية ثم العربية .
- ٩ - كلمة « سل » أو « سطل » نحاس . وهي مستعارة من اللاتينية .
- ١٠ - كلمة « أوسية » بمعنى مزرعة .

ومن النوع الثاني :

- ١ - كلمة « بعرأ » التي ترجع إلى الأصل العربي بعثر . في اللسان : البعض خروج الماء من الخوض . وتبعلق إذا انكسرت منه ناحية فقاض منها .
- ٢ - كلمة « حبَّطَ » في قولهم « حبَّط حائطاً » المخرفة عن حوط . ومثله كلمة « المغاير » المخرفة عن المغاور .

- ٣ - استعمال الكلمة في معنى جديد مثل الكلمة « تَمْلِي » التي وردت في البرديات بمعنى دأبماً أو باستمرار ، وهو نفس معناها العامي الحديث .
- ٤ - قولهم جمادى الآخر بدل الآخرة . ولا زال هذا التعبير شائعاً حتى يومنا هذا .

- ٥ - استعمال الكلمة « دعوة » في معنى دعوى أو قضية . وقد ورد ذلك في وثائق البردي .

وما هو جدير بالذكر ، أن كتاب وثائق البردي كانوا في بعض الأحيان يستعملون اختصارات في الكتابة تحمل محل الكلمة أو أكثر . ومن ذلك :

واعن	اختصار	وأدى عن
أب	اختصار	أرادة
ولب	اختصار	وطالب
به	اختصار	بتاريخه

كذلك مما تجدر الإشارة إليه أن الأخطاء الإملائية فاشية جداً في هذه البرديات وفي غيرها من كتابات الأقباط . ومن أمثلة ذلك :

- ١ - كتابة الناء المربوطة ناء مفتوحة كثيرةً مثل سنت ( سنة ) ، امرأت ( امرأة ) ، ابنت ( ابنة ) ، المهمات ( المهمة ) .
- ٢ - كلمة شئ « كثيرةً ما كتبت » شای ، وهذا من الكتابة الغربية .
- ٣ - كتابة ذلك وهذا وهذين بالألف . . .
- ٤ - عدم كتابة ألف أمام واو الجماعة .
- ٥ - كتبت الكلمة بطء هكذا : بطل و ذلك في وثائق البردي :
- ٦ - كتابة الياء ألفاً مثل ادعا - فمتا - كها - نقاوا - المهمها - الآخراء

٧ - وصل أكثر من كلمة مثل كتب في (كتب في) ، وكتب شهادته (وكتب شهادته) . وذلك في (ذلك في) ، بكلما (بكل ما) .  
وهناك إلى جانب ذلك تعبيرات عليها مسحة العامية استعملت في الوثائق  
البردية مثل :

- ١ - وبيه واحدة قمع بدلا من : وبيه قمع واحدة أو وبيه واحدة من القمع .
- ٢ - وقد شلناه إلى دكان المسمار بدلا من حملناه أو نقلناه .
- ٣ - وديت لك بدلا من أديت إليك أو أرسلت إليك .
- ٤ - نسبت أذكر لك :
- ٥ - وكانوا انحراسانيين قد جابوا مراكب عدة .
- ٦ - صلينا على حافة البحر في الغيط .



**خاتمة**  
**دراسة مقارنة**  
**مدى التأثير المتبادل بين القبطية والعربية**



والآن .. وقبل أن نفع القلم نحب أن نتعرض لقضية أخرى يعلو لكتير من الدارسين أن يغوصوا فيها ، وهي قضية تأثير العربية على القبطية . ومقارنه بتأثير القبطية على العربية :

ولن نشط نحن في الحكم فنعطي أحكاماً جزافية أو بالجملة . أو نقول عن العربية مقاله الدكتور صبحي عن القبطية من أنها سبب اختلاف عربية مصر - وبخاصة عاميتها - عن سائر العربيات . وما ادعاه من أن مفردات عامية مصر مليئة بأعداد فسخمة من الكلمات ذات الأصل المصري القديم أو القبطي بدرجة تثير الدهشة والعجب . ولكننا سترضى القضية عرض منصف بلزوم الحيداد . ويهتم تصوير الحقيقة .

لقد سبق أن تعرضا بالتفصيل لقضية التأثير القبطي على عربية مصر . وخرجنا بنتيجة محددة هي انحصر هذا التأثير في جانب المفردات فقط . وحتى في هذا الجانب وجدنا التأثير ضيقاً لا يتتجاوز بضع عشرات من الكلمات . وليس هذا فحسب ، فقد وجدنا أن قوائم هذه الكلمات مليئة باللفاظ يونانية تسرد بعضها إلى العربية عن طريق القبطية ؛ وبعضها عن طريق مباشر ، وبعضها في بلد آخر غير مصر . وربما كانت ضالة عدد الكلمات القبطية وحدتها الموجودة في عربية مصر هي السبب المباشر الذي حدا الدكتور جورجى

صعبٍ وغيره أن يدمجوا في قوائمهم الكلمات القبطية واليونانية حتى يبدو الأثر قوياً . ومعنى هذا أننا لو نحبنا جانبًا مثل هذه الكلمات ، ورددنا الكلمات ذات الأصل العربي إلى أصولها . واستبعدنا أسماء الأعلام نهائياً ، لأنكمش الرقم جدًا ، ولم يبق عندنا شيء ذو بال .

ونضيف إلى هذا أن الدراسات اللغوية القبطية لم تترك أى آثار على الدراسات اللغوية العربية في مصر . ويبدو أن الأقباط لم يكن لهم دراسات لغوية قد عدّة ذات شأن ، وإلا انعكس أثرها على لغوب مصر المقدمين ، وظهرت ملامحها في كتب النحو واللغة القبطية التي تتابع ظهورها بعد القرن الحادى عشر الميلادى . فإذا نحن انتقلنا إلى الجانب الآخر من القضية وأردنا أن نسجل آثار العربية على القبطية ، وجدناها كثيرة ومتنوعة كما يلى :

١ - صرّح الأستاذ William Worrell المتخصص في الدراسات القبطية بأن الأصوات القبطية قد انخلت تحت ضغط الأصوات العربية ، وأن فكرة كتابة القبطية بحروف عربية (١) قد أدت ولا شك إلى اختفاء الأصوات القبطية التي لم يمكن أن تمثلها حروف عربية لعدم وجودها (٢) . وصرّح في موضع آخر بأن الأقباط الذين كانوا يتكلمون العربية ، لابد أن تكون لغتهم القبطية قد تعرّبت (٣) .

٢ - فحص Worrell بعض الوثائق القبطية المكتوبة بحروف عربية وانتهى إلى نتيجة فحواها أن لغة هذه الوثائق يظهر بوضوح كاف وقوعها تحت تأثير العربية للدرجة أنها لا يمكن أن يعتمد عليها في دراسة الأصوات القبطية .

(١) عن نفس قبطي مكتوب بحروف عربية نشر Galtier عام ١٩٠٦ . انظر في كتابه *Coptic Sounds* ص ٣ و ٤ و ٦ .

(٢) *Coptic Sounds* ص ٦ .

(٣) المرجع ص ١٢٢ .

وأن حروف العلة فيها هي تلك الموجودة في العربية (١) :

٣ - نشر Chassiant أوراقاً بردية طيبة قبطية كتبت في القرنين التاسع والعشر الميلاديين عشر عليها قرب إنخيم. وقد لوحظ أنها تشمل بكثرة على مصطلحات عربية كتبت بحروف قبطية وأحياناً بحروف عربية . كما لوحظ أن كاتب هذه الأوراق كثيراً ما كان بفضل استعمال المصطلح العربي على مقابله القبطي أو اليوناني (٢) :

٤ - قارن « أمبلينو » بين وثيقتين قبطيتين . كتبت الأولى في ولاية عبد العزيز بن مروان ، والثانية في القرن الثالث عشر الميلادي في عصر الملك الكامل ، وحكم بأن « لغة الوثيقة الأولى لغة العصور المزدهرة وليس فيها ما يشعر بالاضمحلال ». أما الثانية فتدل على أن « اللغة القبطية قد أصابها الفاد حيث أدخلت فيها كلمات عربية . ولما كان المؤلف يخطئ في التعبير فقد كان فهم الوثيقة من الأمور الصعبة (٢) .

٥ - عشر على قصة قبطية مكتوبة في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي . وقد ظهر فيها بوضوح ضعف المؤلف في اللغة القبطية ، واستعماله لكلمات عربية كثيرة . (٤) .

٦ - عشر على قصيدة قبطية تعالج موضوعات دينية تهذيبية وترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي ، وقد كتبت بلهجة قبطية صعيدية . وقد عقب Worrell على القصيدة بقوله « اللغة بوجه عام مفتولة . وأسوأ من هذا فالآيات منظومة على الطريقة العربية » (٥) .

(١) المرجع والصنمة السابقان .

(٢) دائرة المعارف Kibt .

(٣) جاك تاجر من ٣٠٦ .

(٤) دائرة المعارف Kibt .

(٥) A Short Account من ١٧ .

٧ - أما آثار الثقافة العربية على مفكري الأقباط فكثيرة ومتعددة .  
ومن أمثلتها :

(أ) انعكاس الثقافة الإسلامية حتى في كتابات الأقباط الدينية . وأقرب مثال لذلك كتاب الصنف بن العسال المسمى « بالمجموع الصفوی » الذي يتناول فقه الذهب الأرثوذكسي . وواضح في هذا الكتاب تأثر المؤلف بالفقه الإسلامي في تقسيم الكتاب إلى قسمين . عبادات ومعاملات . وفي عناوين أبوابه . وحتى في تقريره للأحكام . وإليكم النص التالي الذي يوضح هذه الفكرة ، وهو عن آداب القاضي :  
ويساوى بين الخصميين في الدخول والخلوس والإقبال عليهمما والإنصات إليهما والخاطبة لهما والعدل في الحكم لهما أو عليهما . ولا يسارر (كنا) أحدهما . ولا يلقنه حجة ، ولا يختصم ، ولا يحتاج له ولو كان قورياً وضعيفاً ومشروفاً وشريفاً حتى لا يطبع شريف في حيفه ولا يأس ضعيف من عدله (٤) .

(ب) تأثير النحوة الأقباط في كتبهم التحوية بمجهودات العرب في ذلك . وأنت تخرج بهذه النتيجة بعد تصفحك لكتب النحو القبطية المتقدمة ، حيث تجد تشابهاً عجياً بين المنهجين . فالكلمة عند ابن قيسar تنقسم إلى اسم و فعل و حرف . والاسم هو الذي يخبر به أو يخبر عنه ، وهو ما دخله أحد أدوات التعريف أو التذكير أو التذكير أو التأنيث والجمع وما أشبه ذلك .. والحرف مادل على معنى في غيره ولم يستقل بنفسه . ولا يخبر به ولا يخبر عنه ... ومنها الحروف التي تدخل على المبتدأ أو الخبر وهي إن وأخواتها ... الخ . هل تصدق أنك تقرأ في كتاب يعالج نحو اللغة القبطية ؟

ولم يكن هذا سبيل ابن قيسar وحده ، بل كان سبيل النحوة جمِيعاً

(٤) بالمجموع الصفوی ص ٣٦٤ .

حتى صاحب لهم مؤلف قبطي آخر اسمه الشيخ الوجيه القليوبى ، فقال في مقدمة كتابه المسمى «بالكتفافية» : « وقد وضع في ذلك ( النحو القبطي ) مقدمات ، إلا أن المفسرين لغبة أحكام تصريف اللغة العربية عليهم قاسوا أكثر أحكام القبطى عليها . وليس الأمر كذلك : بل من شرط الخروج من اللغة إلى أخرى أن يجرد ذهنه عن اللغة الغالبة ، ويندهل عنها . ثم ينونق اللغة المخربة . ويستحضر جميع أجزائها ، ويستقرى مواضع استعمال أدواتها » .

٨ - وأخيراً يكفيانا في مجال الموازنة أن نذكر القارئ بما سبق أن قررناه من هزائم اللغة القبطية المتكررة أمام هجمات العربية ، وقدها قلاعها واحدة بعد الأخرى . فما أن جاء القرن العاشر الميلادى حتى كانت قد اهتز عرশها وتلت أركانها وأصبحت لغة ميتة أو شبه ميتة . وليس يفوق الموت شيء آخر . وقد سبق أن ناقشتنا مراحل احتضار اللغة القبطية وأقمنا الأدلة على موتها المبكر . ونضيف الآن ما يأتي إلى ما سبق :

(أ) أن كتب النحو القبطي المؤلفة بلغة عربية بدأت تظهر في القرن الحادى عشر الميلادى . وقد بدأها أثناسيوس أسقف مدينة قوص . وتلاه مؤلفون آخرون مثل ابن كاتب قبص والشيخ الوجيه القليوبى والمؤذن ابن العسال وابن الدهبى والسمونى . وواضح أنها جمياً وضعت لخدمة القارئ الذى يعرف العربية ويريد أن يتعلم القبطية . ولذا فهى تتحذى المثال العربى أصلًا ثم تشير إلى مقابله فى القبطية .

(ب) عذر في بعض الأديرة على مخطوطات قبطية قد بعثة مليئة بحواشن وإضافات باللغة العربية مثبتة على جوانب المخطوطات . ومعنى هذا أن معظم الرهبان ورجال الدين كانوا قد تعلموا القبطية كلغة ميتة أو لغة ثانية ، وأنهم كانوا يفضلون إثبات تعليقاتهم بلغتهم الأولى ، وهي العربية .

- ( ج ) من الثابت قطعاً أنه في أوائل القرن العاشر تمت ترجمة « سيرة جون الصغير » إلى السريانية من النص العربي وليس من الأصل القبطي .
- ( د ) أنه بحد مكتبة دير القديس مكاريوس لوحظ أنها فقرة جداً إلى مخطوطات تنتهي إلى القرن ما بين الحادى عشر والثالث عشر . وقد فسر المستشرق H. White في مقدمة كتابه :
- The Monasteries of the Wadi'N Natrun التدهور يعود إلى حد ما إلى زهد الناس في قراءة الأدب الديني ، وإلى حد أكبر إلى أن اللغة القبطية كلغة حية كانت قد وقعت في هذه الفترة فريسة بين مخالب اللغة العربية » .
- ( ه ) كذلك لوحظ أن القسم العربي من المكتبة كبير جداً مثل القسم القبطي أو أكبر منه . وقد رجع White أن يكون رهبان الدير قد فضلوا في قراءاتهم القراءة باللغة العربية ، وإن كانوا قد احتفظوا بالقبطية في قداساتهم الكنسية .
- ( و ) غير ضمن مخطوطات مكتبة الدير السابق الإشارة إليه على معاجم أو قوائم بالألفاظ هدفها مد يد العون لقارئ العهد الجديد باللغة القبطية .
- ( ز ) غير في نفس المكتبة على بقايا لعشر قوائم تعطي المقابلات العربية للكلمات القبطية ( أو اليونانية ) المتعلقة بالكتاب المقدس والطقوس الدينية ، يرجع معظمها إلى القرن الثالث عشر الميلادي . والملحوظ أنها كلها معاجم قبطية عربية ، ولا يوجد من بينها معاجم عربية قبطية ( ١ ) .
- ( ح ) أن نشاط اللغويين الأقباط المتقدمين أمثال إخوة العمال وأبن كبر

لم يتم بهدف تيسير تعليم الشعب اللغة، بل بهدف تزويده بمساعدته  
على فهم لغة القدس وطقوس العبادة.

( ط ) أن آخر محاولة بذلك لإحياء اللهجة القبطية الصعيدية تمت في القرن العاشر الميلادي حيث ظهرت مؤلفات كثيرة اشتغلت على تمذيج كلاسيكية للأدب الصعيدي والإنجيل وسير القديسين والشعائر الدينية . ثم لم تتم محاولات بعد ذلك .

فلعل القارئ يكون قد تبين الآن بنفسه خطأ ما ردده الدكتور صبحي عن شدة تأثير القبطية على العربية وما ادعاه من أن آثار القبطية في العربية أكثر من آثار العربية في القبطية . فقد ظهر أن لا وجه للمقارنة مطلقاً ، بالإضافة إلى تمكن اللغة العربية من القضاء على القبطية . وليس بعد الموت أثر يفوقه .

ولن نجد ما تحدى به بحثنا خيراً من قول الدكتور ولسن بشاي : « ومهما يقل عن آثار اللغة القبطية التي تركتها على اللغة العربية عندما كانت الغتان مستعملتين جنباً إلى جنب ، وكانت اللغة القبطية قوية . وذلك خلال المرحلة الأولى من الصراع . فإن هذه الآثار لابد وأن تكون قد زالت أو تلاشت تماماً حينما اختفت اللغة القبطية من الوجود كلغة متكلمة وحلت محلها اللغة العربية » .

٠ ٠ ٠

وبعد : فإن قصة اللغة العربية واستقرارها في مصر من القصص الفريدة التي لا تتكرر كثيراً في التاريخ . ويكفي أن نعلم أن مصر قد تابع عليها حكام أجانب على امتداد تاريخها الطويل من هكسوس وآشوريين وفارسيين ويونان ورومان دون أن يتمكن أحد منهم من فرض لغته على مصر . والقضاء

على اللغة الوطنية المصرية تماماً . إلى أن جاء العرب فتسلكنا من فرض لغتهم وإحالاها محل القبطية . وما أن تمكنّت اللغة العربية في مصر حتى رسخت سوخ الجبال ، وقاومت هجمات الاستعمار المتّوّعة . واستطاعت أن تصمد أمام تيار الغزو الأجنبي ، سواء كان تركياً أو فرنسياً أو إنجليزياً ، وظلت – ولن نزال – لغة مصر رائدة القومية العربية .

## اهم المراجع

### أولاً : المراجع العربية

- ١ - أحسن التقاسيم : المقدسى ، « بروم » ١٩٠٦ .
- ٢ - أخبار سيبويه المصرى ، ابن زولاق ، ط أولى ١٩٣٣ .
- ٣ - أصول الكلمات العامية ، حسن توفيق ، مصر ١٨٩٦ .
- ٤ - أقباط ومسلمون ، دكتور جاك تاجر ، مصر ١٩٥١ .
- ٥ - الأدب العربي في مصر ، دكتور عبد الرزاق حميدة ، مصر ١٩٥١ .
- ٦ - الأدب القبطي قديماً وحديثاً ، محمد سيد كيلاني ، ط أولى ١٩٦٢ .
- ٧ - الأساس المتبين في ضبط نطق لغة المصريين ، عبد المسيح المسعودي ، ط مصر .
- ٨ - البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراab ، المقرizi ، تحقيق الدكتور عبد الحميد عابدين ، ط أولى ١٩٦١ .
- ٩ - البيان والتبيّن للجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون ط أولى .
- ١٠ - تاريخ مصر الإسلامية الجزء الأول للدكتور جمال الدين الشيال ط دار المعارف ١٩٦٧ .
- ١١ - التطور اللغوي ، دكتور عبد الرحمن أيوب .
- ١٢ - حضارة مصر في العصر القبطي ، دكتور مراد كامل ١٩٦٨ .
- ١٣ - الخطط ، المقرizi ، بولاق ١٢٧٠ .

- ١٤ - الدخيل في اللغة العربية ، دكتور فؤاد حسنين ، مجلة كلية الآداب :
- ١٥ - الرسالة ، الإمام الشافعى ، تحقيق أحمد شاكر ، ط أولى ١٩٤٠ .
- ١٦ - السلم الكبير ، ابن كبر ، مخطوطة بالمكتبة التيمورية .
- ١٧ - السلم المقنى ، ابن العسال ، مخطوطة بالمكتبة التيمورية .
- ١٨ - العربية ، يوهان فوك ، ترجمة دكتور عبدالحليم النجار ، القاهرة ١٩٥١.
- ١٩ - اللغة القبطية ، جرجس فيليوثاوس عوض ، مصر ١٩١٦ .
- ٢٠ - المتكلى ، السيوطي ، دمشق ١٣٤٨ هـ .
- ٢١ - المحلة القبطية ، جرجس فيليوثاوس عوض .
- ٢٢ - المجموع الصنفوی ، ابن العسال ، تحقيق جرجس فيليوثاوس عوض ، ط أولى :
- ٢٣ - المحاضرة الأولى عن الأوراق البردية العربية ، دكتور أدوات جروهمان دار الكتب ١٩٣٠ .
- ٢٤ - المحكم في أصول الكلمات العامية ، دكتور أحمد عيسى ، ط أولى ١٩٣٩ .
- ٢٥ - المقدمة في نحو اللغة القبطية ، الوجيه القليوبى ، مخطوطة بالمكتبة التيمورية .
- ٢٦ - المكافأة ، ابن الداية ، ط أولى ١٩١٤ .
- ٢٧ - المنجد في اللغة لكراء الغل ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٩٠ لغة .
- ٢٨ - النثر الفنى في القرن الرابع ، دكتور زكى مبارك ، ط أولى ١٩٣٤ .
- ٢٩ - النجوم الزاهرة ، ابن تغرى بردى ، ط دار الكتب .
- ٣٠ - النحو الواقى ، عباس حسن ، ط المعارف .
- ٣١ - الولاة والقضاة ، الكندى ، بيروت ١٩٠٨ .

- ٣٢ - أهل النعمة في الإسلام ، أ. س. ترتوون ، ترجمة حسن جبشي ، دار الفكر ١٩٤٩ .
- ٣٣ - بقايا اللهجات العربية . دكتور أنوليمان ، مجلة كلية الآداب ، مايو ١٩٤٨ :
- ٣٤ - تاريخ ابن الراهب ، بيروت ١٩٠٣ .
- ٣٥ - تاريخ الأقباط . زكى شنودة ط أولى ١٩٦٢ .
- ٣٦ - تاريخ الأمة القبطية . لجنة التاريخ القبطي ، ط ثانية ١٩٢٢ .
- ٣٧ - تاريخ الأمة القبطية ، أ. ل. بتشير ، ترجمة اسكندر تادرس ، المجلة ١٩٠١ .
- ٣٨ - تاريخ الشيخ أبي صالح الأزمني ، أكسفورد ١٨٩٤ .
- ٣٩ - تاريخ العرب قبل الإسلام : دكتور جواد على ، ط المجمع العلمي العراقي .
- ٤٠ - تاريخ اللغة العربية . جورجي زيدان ، القاهرة ١٩٠٤ .
- ٤١ - تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ، ١٩٢٤ .
- ٤٢ - تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية . طوبيا العيسى ، ط ثانية ١٩٣٢ .
- ٤٣ - التكلمة فيما تلحن فيه العامة ، الجوايلق ، ملحق بالفقماط .
- ٤٤ - تهذيب الألفاظ العامة . محمد علي الدسوقي ، ١٩١٣ .
- ٤٥ - حسن المخاضرة . السيوطي ، القاهرة ١٣٢١ هـ .
- ٤٦ - حياة النثر في مصر . دكتور بهى الدين محمد زيان ، رسالة دكتوراه بكلية الآداب ، جامعة القاهرة .
- ٤٧ - دلالة الألفاظ العربية ، دكتور مراد كامل ، معهد الدراسات العربية ١٩٦٣ .

- ٤٨ - رسالة الكلمات الغير العربية ، حمزه فتح الله ، بولاق ١٩٠٢ .
- ٤٩ - سير الآباء البطاركة ، سويرس بن المنفعة ، باريس ١٩٠٧ وما بعدها.
- ٥٠ - صبح الأعشى ، الفقشندى ، ط دار الكتب .
- ٥١ - فتح العرب لمصر ، الفرد بتار ، ترجمة محمد فريد أبو حبيب .  
دار الكتب ١٣٥١ هـ .
- ٥٢ - في الأدب المصرى الإسلامى ، دكتور محمد كامل حسين .
- ٥٣ - في اللهجات العربية ، دكتور عبد الحليم النجاش ، مجلة كلية الآداب ، مابيوا ١٩٥٣ .
- ٥٤ - قبائل العرب في مصر ، أحمد لطفي السيد ، ط أولى .
- ٥٥ - قواعد اللغة المصرية القبطية ، دكتور جوزيف صبحى ، ١٩٢٥ .
- ٥٦ - قواعد اللغة المصرية في عصرها الذهبي ، دكتور عبد الحسن بكير ، ط أولى .
- ٥٧ - كتاب البرهان ، سعيد بن بطريق ، ١٩٦٠ .
- ٥٨ - كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، سعيد بن بطريق ،  
بيروت ١٩٠٥ .
- ٥٩ - لحن العوام ، الزبيدي . تحقيق دكتور رمضان عبد التواب .  
ط أولى ١٩٦٤ .
- ٦٠ - لسان العرب ، ابن منظور . ط بيروت .
- ٦١ - الف القماط ، محمد صديق خان ، ط الهند .
- ٦٢ - المجتمعات الإسلامية في القرن الأول للدكتور شكري فيصل ١٩٥٢ .
- ٦٣ - مجموعة الألفاظ القبطية المتداولة ، أفلوديوس لبيب ، ط أولى .
- ٦٤ - مصر العربية الإسلامية للدكتور علي حسني الخريبوطي ، الأنجلو ١٩٦٣ .

- ٦٥ - مصر في فجر الإسلام . دكتورة سيدة إسماعيل الكاشف . ط دار الفكر ١٩٤٧ .
- ٦٦ - مقدمة ابن خلدون .طبع المطبعة الشرفية .
- ٦٧ - مقدمة في نحو اللغة القبطية . ابن كاتب قبصر . محفوظة بالمكتبة التيمورية .
- ٦٨ - مقدمة في نحو اللغة القبطية . ابن العمال . محفوظة بالمكتبة التيمورية .
- ٦٩ - مقدمة في نحو اللغة القبطية ، ابن الدهبى . محفوظة بالمكتبة التيمورية .
- ٧٠ - مقدمة في نحو اللغة القبطية . المستودى . محفوظة بالمكتبة التيمورية .
- ٧١ - من أسرار اللغة . دكتور إبراهيم أنس . الأنجلو . ط ثانية .
- ٧٢ - من أصول اللهجات العربية في السودان . دكتور عبد الحميد عابدين . ط أولى ١٩٦٦ :
- ٧٣ - نظرات في الصرف العربي . دكتور كمال بشر . حلقة البحث العلمي بكلية دار العلوم .

## ثانياً - المراجع الأجنبية

- 1 — A History of Egypt, Lane Poole, 1925.
- 2 — An Introductory Coptic Grammar, Prof. Plumley, 1943.
- 3 — Arabic Linguistic Studies in Egypt, A.M. Omar, Ph. D. Cambridge.
- 4 — Arabic Papyri, Adolf Grohmann, Cairo, 1934.
- 5 — A Short Account of the Copts, William Worrell, U.S.A., 1945.
- 6 — Colloquial Arabic, De Lacy O'Leary, London, 1963.
- 7 — Common Words in the Spoken Arabic of Egypt, of Greek or Coptic Origin, G. Sobhy, Cairo, 1959.
- 8 — Conversion and the Poll-Tax in Early Islam, D. C. Dennett, Cambridge, 1950.
- 9 — Coptic Sounds, William Worrell, U.S.A., 1934.
- 10 — Coptic Texts from Deir el-Bala'izah in Upper Egypt, Paul E. Kahle, Oxford, 1951.
- 11 — Coptic Texts, William Worrell, U.S.A., 1942.
- 12 — Characteristics of the Hamitic Languages, O'Leary.
- 13 — Elements of the Science of Language, Irach J. Sorabji, Calcutta, 1932.
- 14 — Encyclopaedia Americana, Coptic Language and Literature.
- 15 — Encyclopaedia Britannica, Coptic Church and Coptic Language.
- 16 — Encyclopaedia of Islam, Kibt.

- 17 — Fragments of an Arabic MS. in Coptic Script. (New Texts from the Monastery of Saint Macarius), G. Sobhy.
- 18 — From the World of Arabic Papyri, Adolf Grohmann, Cairo 1952.
- 19 — Language, J. Vendryes, London, 1925.
- 20 — Notes on the Coptic Language, O'Leary, Orientalia, 1934.
- 21 — Notes on the Coptic Substratum in Egyptian Arabic, Wilson Bishai, J.A.O.S., 1960.
- 22 — Prominence and Syllabification in Arabic, T. Mitchell, B.S.O.A.S., London, 1960.
- 23 — Studies in Arabic Literary Papyri, Nabia Abbott, 1957.
- 24 — Survivals of Ancient Egyptian in Modern Dialects, G. Sobhy, Ancient Egypt, 1921.
- 25 — The Administration of Egypt, H. Bell, Leipzig, 1928.
- 26 — The Alphabet, David Diringer, London, 1949.
- 27 — The Kurrah Papyri, Nabia Abbott, Chicago, 1938.
- 28 — The Modern Pronunciation of Coptic in the Mass, J. D. Prince, J.A.O.S., 1902.
- 29 — The Monasteries of the Wadi N Natrun, H. White, New York.
- 30 — The People of Sharqiya, Abbass Ammar, Cairo, 1944.
- 31 — The Persistence of Ancient Coptic Methods of Medical Treatment in Present-Day Egypt, G. Sobhy, Coptic Studies in Honour of W. Crum, Boston, 1950.
- 32 — The Saints of Egypt, O'Leary, 1937.
- 33 — The Triumph of the Alphabet, A.C. Moorhouse, New York, 1953.





المطبعة الثقافية

رقم الإبداع بدار الكتب ١٩٦٦/١٩٧٠



مكتبة لسان العرب

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

الرابط بديل [lisanerab.com](http://lisanerab.com)

# المكتبة العربية

تصدرها

المدينة المصرية العامة للتأليف والنشر

بلاشتراك مع

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

وزارة الثقافة